سلسلة نفيس القرآن

١٧

القاضي عبد الجبّار

تنْزيه القرآن عن المطاعِن

الجزء الثّالث

تدقيق

أسعد جمعة

دار كيرانيس للطباعة والنشر والتوزيع

2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

القاضي عبد الجبّار

تنْزيه القرآن عن المطاعِن

الجزء الثّالث

سورة الحَجّ

سورة الحَجّ

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1] كيف يتعلق وصف الساعة بالتقوى؟

وجوابنا أنه بيّن أنّ ذلك الأمر العظيم يزول عن المتقين فيأتون ما يخافه المجرم وذلك ترغيب في التقوى وتزهيد في خلافها.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها﴾[2] كيف يصح ذلك وليس هناك رضاع ولا حمل؟

وجوابنا أن ذلك كالمثل في عظم أهوال الآخرة وأنه يبلغ في العظم مبلغ ما يلهي المرء عن ولده في باب الرّضاع والحمل وذلك لأن من أعظم الاشفاق إشفاق المرضعة على ولدها والحامل على حملها هذا وقد يجوز أن يعيد الله المرضعة على الولد والحامل على صفتها.

وقد رُوي عنه –صلّى الله عليه وسلم– أنّ كلّ أحد يموت يُبعَث على ما مات عليه، فيكون ذلك كالحقيقة.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الحَجّ، الآية .

[2] سورة الحَجّ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى﴾[1]: أليس ذلك متناقضًا؟

وجوابنا: أنّ المراد أنّهم قد بلغوا في التحيّر إلى حد السكران وإن لم يكن هناك سكر ويحتمل أنّهم سكارى من الخوف والحيرة وما هم بسكارى من الخمر ومثل ذلك يدخل في نهاية الفصاحة، فكيف يعدّ مناقضا وقد يقبل المرء على من لحقه الدّهش والحيرة فيقول مثل ذلك؟!

فلذلك قال بعده: ﴿وَلكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[2]، فنبّه على أنّه وصفهم بذلك لخوفهم من هذا العذاب.

وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3] يدلّ على أن معرفة الله تعالى مكتسبة وأن من لا علم له لا يحل ان يجادل بل الواجب أن ينظر ويتعلم وفيه دلالة على بطلان التقليد

وقوله ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾[4] يدل على أن هذا الاتباع فعله ولذلك ذمّه عليه وقوله ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾[5] المراد به يصرفه عن طريق الجنّة ولذلك قال ﴿وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾[6] ونبّه تعالى على قدرته على الاعادة بقوله ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾[7]، فدلّ بخلقه الانسان على هذا الترتيب وبقدرته عليه على جواز الاعادة ودلّ أيضا بقوله ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ﴾[8] على مثل ذلك ثمّ حقق ذلك بقوله تعالى ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[9] ما قدمت من قدرته على الإعادة ومعنى ذلك أنّ إلهيّته ووحدانيّته هي الحقّ، فوصف بذلك نفسه وأراد ما ذكرنا

---

1 سورة الحَجّ، الآية .
2 سورة الحَجّ، الآية .
3 سورة الحَجّ، الآية .
4 سورة الحَجّ، الآية .
5 سورة الحَجّ، الآية .
6 سورة الحَجّ، الآية .
7 سورة الحَجّ، الآية .
8 سورة الحَجّ، الآية .
9 سورة الحَجّ، الآية .

وذلك مجاز لأن الحق هو عبارة عن صحة الامور التي يعتقدها المحقّ ولذلك اتبعه بقوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها﴾[1]، فبطل بذلك ما كان عليه فرقة من العرب من إنكار الاعادة كما وصفهم بقوله –تعالى–: ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[2].

[المسألة الرّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ﴾[3] ما المفهوم من ذلك ولا يعرف ذلك في اللّغة؟

وجوابنا: أنّ المنافق يظهر العباد ويبطن خلافها فشبه تعالى ظاهر أمره بحرف لأن الحرف هو طرف الشيء والمرء يحتاج في العبادة أن يظهر باطنا وظاهرا فلمّا أظهر المنافق ذلك من أحد الوجهين وصفه تعالى بذلك ولذلك قال بعده: ﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ﴾[4].

وهذا الجنس من التشبيه يبلغ من الفصاحة ما لا تبلغه حقائق الكلام.

ولذلك قال –تعالى–: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ﴾[5]، فبيّن أنّه يعبد الاصنام، وبيّن أنّ ضرر ذلك أقرب من نفعه؛ وكلّ ذلك يحقّق أنّ العبادة من فعل العبد.

وقوله –تعالى–: ﴿مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ﴾[6] يدلّ على أنّ العبد هو الفاعل، لأنّه إذا خلق فيه كلّ أفعاله، فأيّ فائدة في النّصرة؟

[المسألة الخامسة]

---

[1] سورة الحَجّ، الآية .

[2] سورة الحَجّ، الآية .

[3] سورة الحَجّ، الآية .

[4] سورة الحَجّ، الآية .

[5] سورة الحَجّ، الآية .

[6] سورة الحَجّ، الآية .

وربما قيل في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾[1] ان ذلك يدل على أنه يهدي قوما دون قوم بخلاف قولكم ان الهدى عام.

وجوابنا ان المراد يكلّف مَن يريد، لأنّ في النّاس مَن لا يبلغه حد التكليف أو يحتمل أن يريد الهداية إلى الثّواب، لأنّها خاصة في المطيعين دون العصاة ورغّب –تعالى– المؤمن في تحمّل المشاقّ، واحتمال ما يناله من المبطلين بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[2]، فبيّن حسن عاقبة المؤمن عند الفضل ليكون في الدنيا وإن لحقه الذل صابرا وعلى هذا الوجه قال صلّى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾[3]: كيف يصح السجود من هذه الامور أكثرها جمادات؟

وجوابنا: انّ المراد بهذا السجود الخضوع فالمراد بذلك أنه تعالى يصرفها في الامور ولا مانع ولأجل ذلك لمّا ذكر الذي للمكلفين خصّ ولم يعمّ، فقال –تعالى–: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾[4]، لان فيهم من ينقاد فيطيع وفيهم خلافه ويحتمل أن يراد بالسّجود دلالتها على تنزيه الله –تعالى–.

فلمّا لم يصحّ فيها السّجود أريد ذلك.

ولمّا صحّ ذلك في النّاس أريدت الحقيقة فخصّه، ولذلك قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ﴾[5] لما لم يفعل السّجود والعبادة.

---

[1] سورة الحَجّ، الآية .

[2] سورة الحَجّ، الآية .

[3] سورة الحَجّ، الآية .

[4] سورة الحَجّ، الآية .

[5] سورة الحَجّ، الآية .

وقوله من بعد: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾[1] المراد به ما يشاء أن يفعله لا ما يشاء من غيره فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها﴾ كيف يصح أن يريدوا ذلك مع اليأس من الخروج وهذه الارادة تكون قبيحة ولا يقع من أهل الآخرة القبيح عندكم.

وجوابنا: أن في العلماء من قال ذكر تعالى الارادة وأراد ما في نفوسهم من الميل الى ذلك كما قال –تعالى–: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[2].

وقال: بعضهم يحسن أن يزيدوا ذلك وان لم ينالوه على وجه الاستغاثة كما يحسن منهم الصياح والصراخ على هذا الوجه فلهم في ذلك غرض يحسن منهم.

[المسألة الثّامنة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[3] ما فائدة ذلك في وصف المؤمنين في الجنة ومعلوم انهم يعرفون الطيب من القول أن يهدوا إليه؟

وجوابنا: أن المراد به ما يعرفون من تحية البعض للبعض وذلك مخالف لما يقع في الدنيا لاغراض تتصل بمنافع الدنيا وبالتكليف ويحصل في هذا القول من السرور بالتعظيم ما لا يوجد مثله في دار الدنيا.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ﴾[4] ما ينالهم من السرور بشكر نعم الله تعالى ويحتمل أن يكون المراد بذلك ما يكون في دار الدنيا وأنهم هدوا إلى الاخلاص والى اتباع طريقة الحق.

---

[1] سورة الحَجّ، الآية .

[2] سورة الحَجّ، الآية .

[3] سورة الحَجّ، الآية .

[4] سورة الحَجّ، الآية .

[المسألة التّاسعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ﴾[1]: كيف يصح ذلك في الحرم وقد ثبت أنه مملوك؟

وجوابنا ان المراد نفس المسجد دون الدور والمنازل وفي ذلك خلاف شائع وعظم الله – تعالى– المعاصي في المسجد الحرام بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ﴾[2] وبقوله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ﴾[3]، وبقوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾[4] ولذلك قال بعده: ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[5].

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً﴾[6] مواضع النسك لا نفس النّسك الذي هو فعلها، فليس للمخالفين أن يتعلقوا بذلك ونبّه بقوله –تعالى–: ﴿لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ﴾[7] على انّ الذي ينتفع به الاخلاص دون صورة العمل ونبه بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[8] على انّ ذلك من قبل العبد، لأنّه لو كان من خلقه تعالى لما جاز أن لا يحبه ولا يريده.

[المسألة العاشرة]

---

1 سورة الحَجّ، الآية .
2 سورة الحَجّ، الآية .
3 سورة الحَجّ، الآية .
4 سورة الحَجّ، الآية .
5 سورة الحَجّ، الآية .
6 سورة الحَجّ، الآية .
7 سورة الحَجّ، الآية .
8 سورة الحَجّ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ﴾[1]: كيف يصحّ هدم الصّلوات؟

وجوابنا ان المراد أماكن الصلوات في غير المساجد ثمّ أتبعه بذكر المساجد ومثل ذلك مفهوم، كقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ﴾[2]، إلى ما شاكل ذلك، ولذلك قال بعده: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً﴾[3].

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[4]: كيف يصحّ ذلك وفي جملة المؤمنين من يغلب؟

وجوابنا ان النصر على وجوه فلا بد فيمن ينصر ربّه بالطاعة والجهاد أن يكون الله –تعالى– ناصره ببعض الوجوه هذا والغلبة على المؤمن لا تخرجه عن أنّه المنصور، لأنّه المحمود العاقبة.

[المسألة الثّانية عشر]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[5] ما الفائدة في ذلك، ولا رسول إلاّ وهو نبيّ عندكم؟

وجوابنا: أنّ معنى وصف الرسول بأنّه نبيّ إثبات ما يختصّ به من الرّفعة العظيمة فلمّا كانت الفائدة في ذلك مخالفة للفائدة في وصفه بأنه رسول جاز أن يذكرهما.

[المسألة الثّالثة عشر]

---

[1] سورة الحَجّ، الآية .

[2] سورة الحَجّ، الآية .

[3] سورة الحَجّ، الآية .

[4] سورة الحَجّ، الآية .

[5] سورة الحَجّ، الآية .

فإن قيل: فما المراد بقوله: ﴿إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1]؟ وكيف يصحّ ذلك على الانبياء؟

وجوابنا أن المراد إذا تلا القرآن يلحقه السهو في قراءته وذلك معروف في اللغة فلذلك قال بعده: ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آياتِهِ﴾[2].

ولو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك فامّا ما يرويه الحشوية من أنه –صلّى الله عليه وسلم– ذكر في قراءته أصنامهم وقال إن الغرانيق العلا شفاعتهن ترجى حتى فرح الكفار فلا أصل له ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة فبيّن –تعالى– بذلك أنّ السّهو في القراءة جائز على النبي –صلّى الله عليه وسلم–، وأنّه من يعد يبيّن الفضل من السّهو ويبيّن الصّحيح منه.

ولذلك قال بعده: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[3]، وقال بعده: ﴿وَلا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾[4].

[المسألة الرّابعة عشر]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[5]: كيف يصحّ ذلك والملك في كل حال لله –عزّ وجلّ–؟

وجوابنا: أنّ المُراد أنّه في دار الدنيا ملك كثيرا من النّاس الامور وفي الآخرة لا حاكم سواه البتّة، ولذلك يحكم بينهم.

[المسألة الخامسة عشر]

---

1 سورة الحَجّ، الآية .

2 سورة الحَجّ، الآية .

3 سورة الحَجّ، الآية .

4 سورة الحَجّ، الآية .

5 سورة الحَجّ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنْ جادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ﴾[1]: كيف يصح هذا الجواب، وهو –تعالى– عالم بكل شيء؟

وجوابنا: أنّ ذلك تحذير من مجادلتهم، فحذّرهم بذلك بعد البيان، ولذلك قال قبله: ﴿فَلا يُنازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، ثمّ قال: ﴿وَإِنْ جادَلُوكَ﴾[3].

فاذا تقدّم البيان جاز من الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– الاقتصار على هذا الجنس من التحذير ولذلك قال بعده: ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[4].

وبيّن –تعالى– أنّه عالم بكلّ شيء، فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾[5].

وبيّن أيضًا أن ما علمه من الامور التي تحدث قد كتبه ليستدل بها الملائكة، فقال: ﴿إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[6]، وحذّر بذلك عبّاد الاصنام، فلذلك قال بعده: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾[7].

ثمّ بيّن بعده ضعف المخلوقين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً﴾[8]، واكّد ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾[9]؛ فبيّن أنّه على حقارته يغلب المرء، فلا يتمكّن الانسان من استنقاذ ما سلبه.

وقد حكي عن أبي الهذيل العلاّف أن بعض الملوك سأله وقال: ما الفائدة في خلق الذّباب؟ فأجاب بأنّ في ذلك إذلال الجبابرة.

[المسألة السّادسة عشر]

---

1 سورة الحَجّ، الآية .
2 سورة الحَجّ، الآية .
3 سورة الحَجّ، الآية .
4 سورة الحَجّ، الآية .
5 سورة الحَجّ، الآية .
6 سورة الحَجّ، الآية .
7 سورة الحَجّ، الآية .
8 سورة الحَجّ، الآية .
9 سورة الحَجّ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[1]: أليس يدلّ ذلك على نقيض قوله –تعالى–: ﴿فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾[2]، فأيّهما هو الصواب أيكون بعضهم كذلك أو كلّهم أجمع؟

وجوابنا: أنّ بعضًا منهم يكون رسلاً إلى الانبياء دون الكلّ، ولئن كان جميعهم من الرّسل، فلا تناقض في ذلك.

[المسألة السّابعة عشر]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[3]: كيف يصح ذلك ولغة العرب صادرة عن إسماعيل؟

وجوابنا: انّ المراد المعني دون نفس الاسم، فكأنّه وصفهم بتمسكهم بالملّة، وبأنّهم من أهل الثواب، وهو المفهوم من وصفنا لهم بأنّهم مسلمون ومؤمنون.

---

1 سورة الحَجّ ، الآية .

2 سورة الحَجّ، الآية .

3 سورة الحَجّ، الآية .

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون

[المسألة الأولى]

ومتى قيل ما معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾[1]، ثمّ قوله آخرا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾[2]، فكرّر ذلك؟ وكيف يجوز مثله؟

وجوابنا: أنّه في الأوّل وصفهم بالخشوع في الصّلاة، وفي الثّاني وصفهم بالمحافظة على أوقاتها، وليس ذلك بتكرار.

[المسألة الثّانية]

ومتى قيل ما معنى قوله: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾[3]، ومعلوم أن معنى الميراث لا يصحّ فيهم؟

وجوابنا: أنه شبة وصولهم الى الفردوس من دون سبب يأتونه بوصول المرء الى الاملاك بالميراث عند الموت وهذا من أحسن ما يجري في الكلام من التشبيه.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾[4]، كيف يصحّ أن يتكرّر خلق الشّيء الواحد، فكيف يصحّ فيما خلق من طين أن يوصف بأنّه مخلوق من نطفة؟

---

[1] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[2] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[3] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[4] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

وجوابنا: أنّه –تعالى– ذكر الانسان وأنّه خلق من طين، وهو آدم والنّطفة لمّا كانت منه جاز أن يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً﴾[1]، يعني: الأولاد.

وأمّا قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾[2]، فالمُراد ما به صارت علقة وهذا كما يقول المرء عملت من الخشب بابا والمُراد أنّه عمل ما به صار بابًا، فالخلق في الشّيء الواحد لم يتكرّر، وإنّما يحدث فيه شيئًا بعد شيء.

[المسألة الرّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[3] أليس ذلك يقتضي أنه غير ما تقدم ذكره؟

وجوابنا: أنه لما صار بالحياة التي خلقها الله تعالى فيه على صفة لم يكن عليها جاز أن يقول ذلك مجازا وقد يقول الرجل في ولده وقد تأدب وتعلم وتغيرت أحواله أنه غير الذي رأيتموه وذلك ممّا يكثر في الكلام.

[المسألة الخامسة]

ومتى قيل ما معنى قوله: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[4]، كيف يصحّ ذلك ولا خالق سواه؟

وجوابنا: أنّ ذلك من حيث اللّغة، فوصف كلّ مَن تدبّر فعله وأتى به على وجه الصّواب أنّه خالق وذلك مشهور في اللّغة.

فعلى هذا الوجه يصحّ ما ذكره –تعالى–، وانّما منع أن يجري هذا الوصف إلّا على الله –تعالى– مطلقًا من حيث كلّ أفعاله لا تكون إلّا مقدّرة على وجه الصّواب، كما لا يقال

---

[1] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[2] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[3] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[4] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

مطلقًا في أحد سواه أنّه ربّ، وإن كان قد يُقال في زيد أنّه ربّ داره وعبده، فمن حيث التّعارف لا يوصف بذلك سواه.

[المسألة السّادسة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾[1]، كيف يصحّ ذلك والماء إنّما ينزل من السّحاب؟

وجوابنا: أنّ الصّحيح أنّه ينزل من السماء ويحمله السحاب ثمّ ينزل إلى الأرض، وإنّما يذكر ذلك بعض الأوائل لقولهم أنّ الماء يصعد من الأرض كالبخار ويحمله السّحاب، ثمّ يصفو وينزل، وليس الأمر كما قالوه، وكتاب الله أصدق من قولهم.

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[2] كيف يصح ذلك في اللّغة، وهي لا تنبت بالدّهن ولا الدّهن ينبت؟

وجوابنا: أنّ المراد ينبت ما هو أصل الدهن وهو الزيتون الذي منه يخرج الدهن وتنبت أي تخرج وقد يقال في الشّجرة إنها تخرج كيت وكيت ويقال أيضا انها تخرج بكيت وكيت.

وقد قال أن الباء كالبدل من اللام لان ذلك من حروف الجر فكأنه قال تنبت الدهن فالكلام صحيح على كل حال.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[2] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا﴾[1]: كيف يصحّ، وقد كان بين الرّسل فترات؟ وكيف يصحّ قوله –تعالى–: ﴿فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً﴾[2]، وذلك تكرار؟

وجوابنا أنّه –تعالى– وصف بعض الرسل بذلك، ولذلك قال بعده: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى﴾[3]، وتقدّم من قبل ذكر الرّسل، فلا يمتنع من ذلك البعض أنّه أرسلهم على اتّصال، ولا يمتنع إذا تقارب بعثة بعضهم بعد بعض أن يُقال ذلك.

فأمّا قوله: فأتبعنا بعضهم بعضا، فإنّه يعني: في الهلاك، ولذلك قال بعده: ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ﴾[4]؛ فالمُراد بذلك: الأمم التي كان الله –تعالى– تعجّل إهلاكها.

وقوله من بعد: ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[5] دلالة على أنّ الذين ينجون من العذاب هم المؤمنون.

ومعنى قوله من بعد: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[6]، أي دلالة ومعجزة، فإنّه –تعالى– نقض العادات فيها وفي ابنها.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً﴾[7] يدلّ على أنّه أباح الطيّبات، وأنّه لا يدخل في جملة الورع اجتنابها أكل ذلك.

وقوله من بعد: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[8]، المُراد به: التّخلية، كأنّه –تعالى– يعزي الأنبياء، فقد كانوا يتشدّدون في الدّعاء إلى الله –تعالى– ويغتمون بترك القبول.

---

1 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
2 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
3 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
4 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
5 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
6 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
7 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
8 سورة المُؤْمِنُون، الآية .

وقال –تعالى–: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾[1]، أي في حيرتهم التي أوتوا فيها من قبل أنفسهم حتى حين، وذلك كالتّهديد، لأنّ قوله –تعالى–: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾[2] تنبيه على عذاب الآخرة.

[المسألة التّاسعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾[3] كيف يتعلق فساد السّموات والارض باتباعهم أهواءهم؟

وجوابنا أن المراد من كذب بالرّسل وبالله –تعالى– واثبت آلهة سواه ولو صح مع الله تعالى آلهة إلا الله لفسد التدبير.

وهذا هو المراد بالآية كما نقوله في دلالة التمانع في قوله: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا﴾[4].

ولذلك قال بعده: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾[5].

ثمّ قال منزّهًا لنفسه: ﴿سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[6].

[المسألة العاشرة]

---

1 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
2 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
3 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
4 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
5 سورة المُؤْمِنُون، الآية .
6 سورة المُؤْمِنُون، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾[1] فحكى جل وعز عنه ذلك ثمّ قال: ﴿كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾[2] ما الفائدة في ذلك وهو معلوم من قبل؟

وجوابنا: أنّ المُراد هذه طريقة في هذه الكلمة أنّه يكرّرها ويتمنّى عوده من حيث لا يتلافى ويقتصر على التّمنّي.

[المسألة الحادية عشر]

وربّما قيل في قوله _تعالى_: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ﴾[3] كيف يصح نفي الانساب وهي ثابتة في الآخرة كما قال تعالى ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[4] وقد يدعي الرجل في الآخرة بالآباء؟

وجوابنا أنّ المُراد انقطاع النّفع بعد نفخ الصّور بالانساب، وقد كان ينتفع بها في الدّنيا، وإلا فالنّسب الذي قد ثبت وتقضّى لا يزول، ولذلك قال –تعالى–: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[5].

وإنّما سينتفع بذلك أهل الصّلاح، فلذلك قال –تعالى– في سورة الرّعد: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾[6]، فوصفهم؛ ثمّ قال في آخره: ﴿أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[7]، فعند ذلك يعظم السّرور بالاجتماع.

وبعد ذلك قال –تعالى– حاكيًا عمّن خفّت موازينه: ﴿قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَكُنَّا قَوْماً ضالِّينَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾[8].

---

1 سورة المُؤْمنُون، الآية .
2 سورة المُؤْمنُون، الآية .
3 سورة المُؤْمنُون، الآية .
4 سورة المُؤْمنُون، الآية .
5 سورة المُؤْمنُون، الآية .
6 سورة المُؤْمنُون، الآية .
7 سورة المُؤْمنُون، الآية .
8 سورة المُؤْمنُون، الآية .

وبيّن –تعالى– عظم ما أقدموا عليه بقوله: ﴿إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾[1]، فدلّ بذلك على عظم هذا الجرم.

ثمّ بين ما لهم من المنزلة بقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ﴾[2].

[المسألة الثّانية عشر]

وربّما قيل كيف يجوز أن يقولوا: ﴿لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[3]، وذلك كذب منهم، لأنّه جواب لقوله: ﴿قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[4]؟

وجوابنا أنّهم لم يريدوا بذلك أحوال حياتهم، بل أرادوا حال الوفاة ولم يريدوا بقولهم: ﴿لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[5] التّحقيق، لأنّهم لو أرادوا الخبر، لكان هذا القول متناقضًا، وكأنّهم أرادوا أنّهم، وإن كثر لبثهم، فهو قليل في حكم يوم أو بعض يوم في أنّهم لم ينتفعوا بالتّلافي والاستدراك، ولذلك قال بعده: ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6]، وقال بعده: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾[7]، فنبّه على تقصيرهم حيث أمكنهم التّلافي، وأنّهم فيما بعد فاتهم ذلك.

---

1 سورة المُؤْمنُون، الآية .
2 سورة المُؤْمنُون، الآية .
3 سورة المُؤْمنُون، الآية .
4 سورة المُؤْمنُون، الآية .
5 سورة المُؤْمنُون، الآية .
6 سورة المُؤْمنُون، الآية .
7 سورة المُؤْمنُون، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ﴾[1] دلالة على أنّ كلّ قول لا حجّة فيه، فهو محرّم، ولذلك قال –تعالى–: ﴿فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾[2].

[1] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

[2] سورة المُؤْمِنُون، الآية .

سورة النور

سورة النُّور

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْناها﴾[1]: كيف يصحّ انزال السّورة، وذلك يستحيل فيها؟

وجوابنا عن ذلك وعن سائر ما في القرآن نحو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾[3] إلى غير ذلك هو أنّ المُراد به إنزال السّورة بإنزال مَن يحملها.

وعلى هذا الوجه نصف القرآن بأنّ الله أنزله، وهذا كما يُقال أنزلنا الماء، ويُراد بذلك الظّرف ونزّحنا الماء من البئر إلى غير ذلك، وكما يُقال إنّ فلانًا أظهر علمه، والمُراد: أوْدعه الكتب.

فمن هذا الوجه يستدلّ بهذه الآيات على حدوث القرآن، لأنّ ما هو قديم لا يجوز فيه إنزاله بنفسه ولا بغيره، وفي قوله –تعالى–: ﴿وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ﴾[4]، والآيات هي الادلّة دلالة أيضًا على حدوثه.

وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5] دلالة على أنّ الله –تعالى– أراد من جميعهم التّذكّر.

[المسألة الثّانية]

---

1 سورة النُّور، الآية .

2 سورة النُّور، الآية .

3 سورة النُّور، الآية .

4 سورة النُّور، الآية .

5 سورة النُّور، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[1]: كيف يصحّ هذا الخبر، ونحن نعلم أنّ الزّاني قد يطأ وقد يعقد على غير الزّانية؟

وجوابنا: أنّه، وان كان في صورة الخبر، فالمُراد به: الأمر.

واختلف العلماء في ذلك: فمنهم مَن قال: هو منسوخ، ومنهم مَن قال: بل هو ثابت؛ وأنّ المراد أن الزاني لا يحلّ له التزويج بالعفيفة حتى أنهم يقولون اذا حدث الزنا منه بطل النكاح ومع ذلك فان ظاهره انما يقتضى أنه في حال زناه لا ينكح إلاّ زانية لان الزاني هو الواطئ بغير شبهة وبغير نكاح وملك ومن هذا سبيله فهو غير ناكح إلا الزانية ومن يقدر فيها هذا التقدير.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[2]: كيف يصح في افكهم أن يكون خيرا مع قبحه وعظم الاثم فيه؟

وجوابنا: أن المراد به خير لهم من حيث نالهم به من الغم ما صبروا عليه وان كان كذبا قبيحا فالمراد هو ما قد ذكرناه ولذلك قال –تعالى–: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾[3] فذمهم وبين أن الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم.

ومعلوم أنّ هذا الصّنيع منهم كان كالسّبب في تعظيم الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– والمتّصلين بعائشة، فصار الصّبر عليه عظيم الثواب ولذلك يقال الآن فيمن زنى بأهل له أنه اذا صبر فله ثواب واذا ظلم المرء فلم يخرج الى المقاتلة على ذلك بل صبر فله ثواب.

وهذه القصّة إنّما ضمّت إلى هذه السّورة لتعلقها بالقذف والرمي اللذين بين الله تعالى حكمهما في الأجنبي وفي الزّوجيّات، وهي تشتمل على أحكام وأدب يمكن أن يُقال: إنّ جميع ذلك من الخيرات فبين –تعالى– أن من يتولّى كبر الشّيء أعظم إنّما ممّن

---

[1] سورة النُّور، الآية .

[2] سورة النُّور، الآية .

[3] سورة النُّور، الآية .

هو كالتابع وبيّن أن الواجب على من يسمع مثل ذلك أن لا يظنّ صحّته بمن عرف عفّته، ويؤيّده قوله: ﴿لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾[1].

وفيه أنّ الواجب في مثله الاعتماد على الشّهادة فاذا انتفت وجب الكف، وهو معنى قوله: ﴿لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ﴾[2]، لأنّ المُراد: هلّا فعلوا ذلك، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾[3].

[المسألة الرّابعة]

ومتى قيل: أليس من لم يأت بالشهود قد يكون صادقا فكيف يصح ما ذكره تعالى؟

وجوابنا أنه وصف قولهم في هذه القصة خاصّة بأنّه كذب وما يذكر في كتب الفقهاء من أن الملاعن يكذب نفسه وان ذلك منه كالتوبة يجب أن يكون كالمجاز لان الزوج إذا رمى امرأته فقد يكون صادقا ويكذب نفسه فان كذب نفسه على الحقيقة فذلك ذنب ثان لأن تكذيب الصادق كذب وبين أنه لو لا فضل الله عليهم لمسهم في ذلك عذاب عظيم وما يمسهم فيه العذاب لا يكون خيرا.

ونبّه بقوله تعالى–: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[4] على أن الخبر بلا علم يقبح وبين أنّ الذّنب قد يعظم عند الله وإن حسبه المذنب هيّنا وبين أن الخبر في مثل ذلك يسمى بهتانا فدل بذلك على عظمة لان في تلك الاخبار ما لا يسمى بذلك وان كان كذبا.

وبين بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ﴾[5] أن محبّة القلب بانفراده قد تكون ذنبًا عظيمًا، فيبطل بذلك ما يظنّه كثير من النّاس من أنّه لا يؤاخذ المرء بما يقع في قلبه إذا لم يعمل ولو لا خوف التّطويل، لذكرنا سائر ما في هذه القصّة من الفوائد.

---

[1] سورة النُّور، الآية .

[2] سورة النُّور، الآية .

[3] سورة النُّور، الآية .

[4] سورة النُّور، الآية .

[5] سورة النُّور، الآية .

فأمّا ما قاله آخرا من قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾[1] فالمراد به اظهار الفضل والمدح وذلك يصح من الله تعالى وليس المُراد نفس الطاعة فليس للمخالفين التعلق بذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾[2] يدلّ على أن ذلك من الكبائر العظام ويدلّ على أنّه ملعون في الآخرة إذا لم يتب والملعون في الآخرة لا يصح ان يكون من أهل الجنّة.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾[3]: كيف تصحّ الشّهادة من اللّسان؟

وجوابنا: بأن ينطقه الله وكذلك الكلام في أيديهم وفي أرجلهم وفي ذلك زجر عظيم، لأنّ المقدّم على الذّنب إذا تصوّر أنّه يجزي عليه في الآخرة بهذه الشّهادة كان ذلك من أعظم زواجره.

[المسألة السّادسة]

فإن قيل: فاللّسان واليد والرّجل هي المتكلّمة بهذه الشّهادة.

قيل له: هذا هو الظاهر والله عز وجل قادر على أن يحييها مفردة لتتكلم بهذه الشهادة كما روي عنه –صلّى الله عليه وسلّم– في الذراع أنها كلّمته وقالت: لا تأكلني يا رسول الله، فإنّي مسمومة.

وفي العلماء مَن يقول هذه الشّهادة مَن فعل الله –تعالى– فإن وجدت في الاعصاب، فيكون الله –تعالى– المتكلّم وأضيفت الشّهادة إليها على وجه من المجاز.

---

[1] سورة النُّور، الآية .

[2] سورة النُّور، الآية .

[3] سورة النُّور، الآية .

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]: أليس يدلّ ذلك على أنّه جسم، وعلى أنّه أحسن الاجسام كما قاله بعضهم؟

وجوابنا: أن المراد أنّه منوّر السّموات والارض بين ذلك أنه قال –تعالى–: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾[2]، فأضاف النّور إليه، وقال آخرا: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[3].

ويحتمل أن يكون المُراد نفس النّور، ويحتمل أن تكون الأدلّة، وفي الوجهين من يفعل ذلك يوصف أنّه منور، وإنّما وصف نفسه بذلك مبالغة من حيث أنّ كلّ الأنوار من قبله، كما يوصف بأنّه رجاء وغياث إلى ما شاكل ذلك؛ ولذلك قال –تعالى– بعد: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[4].

[المسألة الثّامنة]

ومتى قيل: كيف يصحّ قوله –عزّ وجلّ–: ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾[5] ولا ثالث لهذيْن؟

وجوابنا: أنّ المراد أنّ مكانها ليس مما تطلع عليه الشّمس فقط ولا تغرب أي تظهر عليه الشّمس عند الغروب فقط، بل مكانها المكان الذي لا تنقطع منه الشّمس وذلك بيّن في وجه المنفعة للاشجار.

[المسألة التّاسعة]

---

[1] سورة النُّور، الآية .

[2] سورة النُّور، الآية .

[3] سورة النُّور، الآية .

[4] سورة النُّور، الآية .

[5] سورة النُّور، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها﴾[1] بعد أن وصف الظّلمات العظيمة كيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: أن بعضهم قال لا يراها أصلاً، وقال بعضهم: بل الظّلمات، وإن عظمت ممّا تقرب المرء من تحريك أعضائه، وقد يجوز ان يراها، فليس في ذلك مناقضة.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ﴾[2]: كيف يصحّ الاقتصار على هذه القيمة وفي الحيوان ما يمشي على أكثر من أربع؟

وجوابنا: أنّ تبيان هذه الاوصاف لا يمنع فوق رابع لو صحّ ما قاله، فكيف وما يظهر له من الأرجل أكثر من أربع إنّما يمشي من جملتها على أربع، فالكلام تامّ؟!

---

[1] سورة النُّور، الآية .

[2] سورة النُّور، الآية .

سورة الفرقان

سورة الفرقان

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[1] أو ما يدلّ ذلك على أنّه الخالق لأفعال العباد؟

وجوابنا: أنّ المُراد به الاجسام التي ننتفع بها، لأنّه –تعالى– ذكر ذلك عقيب قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾[2]، وقد بيّنا من قبل أنّ الله لا يجوز أن يمتدح بفعل القبائح، فالمُراد ما ذكرنا.

وقوله –تعالى–: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[3] يدلّ على أنّ مراده بهذه الآيات ما يكون حسنا وحكمة، فالله –تعالى– استفتح هذه السّورة بما يدلّ على قولنا، وهو قوله –تعالى–: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً﴾[4]، فبيّن أنّه أنزله لينذر ويخوف كلّ واحد من العالمين، والتّخويف إنّما يُراد منه الانصراف عن الكفر والمعاصي، فكيف يصحّ أن يبعثه ليصرفهم عمّا هو الخالق له فيهم ولا يمكّنهم، وهو الخالق فيهم الانصراف عن ذلك ولو اجتهدوا كلّ الاجتهاد.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾[5] أراد –تعالى– أنّهم لا يستطيعون السّبيل الى القدح في نبوّته، فلا يصحّ للمخالفين أن يسألوا عن ذلك في أنّ القدرة مع الفعل.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة الفُرْقَان، الآية .

[2] سورة الفُرْقَان، الآية .

[3] سورة الفُرْقَان، الآية .

[4] سورة الفُرْقَان، الآية .

[5] سورة الفُرْقَان، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[1]: كيف يصحّ ذلك في النّار حتّى توصف بأنها تراهم، وهي جماد؛ وحتّى توصف بأنّ لها تغيّظًا وزفيرًا؛ وذلك لا يصحّ إلاّ في الحيّ الذي يغتاظ ممّا يرى؟

وجوابنا: أنّ المراد بذلك التمثيل دون التّحقيق فمن يقرب من الشّيء يقال يراه وقد يشبه صوت النار عند التلهف بالزفير الذي يظهر من المغتاظ.

ويحتمل أنّه –تعالى– ذكر إذا رأتهم وأراد خزنة جهنم فإنهم يغتاظون، فيكون لهم من الزفير بعد علمهم بما يقتضي ظهور ذلك.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾[2]: كيف يصحّ ذلك ولا خير في النّار أصلاً؟

وجوابنا: انّ المراد أيّهما أوْلى بأن يكون خيرًا، وقد يقول الحكيم لغيره من العصاة إنّ التّمسّك بالطّاعة خير لك من المعصية، والمُراد ما قد ذكرنا.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾[3]، وذلك خلاف قولكم.

وجوابنا: أنّ المُراد أنّه متعهم، فاختاروا عند ذلك نسيان الذّكر والمراد بهذا النّسيان ترك الواجب، لأنّ النّسيان في الحقيقة من فعل الله –تعالى–، فلا يجوز أن يذمّهم عليه؛ ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَكانُوا قَوْماً بُوراً﴾[4]، وقوله –تعالى–: ﴿وَقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ

---

[1] سورة الفُرْقَان، الآية .

[2] سورة الفُرْقَان، الآية .

[3] سورة الفُرْقَان، الآية .

[4] سورة الفُرْقَان، الآية .

لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾[1] أحد ما يدلّ على أنّه –تعالى– لا يجوز أن يرى، وإلّا لم يصح أن يستعظم هذا القول منهم، كما لا يجوز أن ينزل الملائكة بدلًا من البش،ر لكن إنزال الملائكة مقدور، والحكمة تمنع منه، والرّؤية ليست ممّا يصحّ أصلًا.

وفي قوله –عزّ وجلّ–: ﴿يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي﴾[2] دلالة على أنّ المضلّ عن الدّين ليس هو الله –تعالى– كما يقوله المجبرة.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كيف يصح أن يكون تعالى جعلهم أعداء للانبياء؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– إذا عظم الانبياء واصطفاهم وخصّهم بالمعجزات وكان ذلك من قبله، ولأجل ذلك عادوا الانبياء جاز أن يضيف ذلك إلى نفسه من هذا الوجه بأنه يفعل فيهم العداوة مع زجره ونهيه عن ذلك ومع ايجابه عليهم أن يتركوها إلى الولاية وإلى التصديق والانقياد.

وحكى –تعالى– عن الكفّار أنّهم قالوا: ﴿لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً﴾[3] كالذي فعله تعالى في كتب الأنبياء وجعلوا ذلك كالطعن، فقال –جلّ وعزّ–: ﴿كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً﴾[4]؛ فبيّن أنّ إنزاله على تصرف الأوقات وتجديد ذلك على قلبه ما يوجب الثّبات والصّبر، وذلك معلومٌ من حال ما يرد على السّمع في الأوقات المتباينة.

---

[1] سورة الفُرْقَان، الآية .

[2] سورة الفُرْقَان، الآية .

[3] سورة الفُرْقَان، الآية .

[4] سورة الفُرْقَان، الآية .

وبعد، فإنّه –صلّى الله عليه وسلّم– لم يكن يكتب ويقرأ، فلو أنزل عليه جملة واحدة، لكان مخالفًا للحكمة وبعد فإنّ إنزاله في وقته أحسن موقعًا من إنزاله قبله، فعند الحوادث إنزال الله –تعالى– ما يتّصل بها.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ﴾[1]: كيف يصح حشرهم على وجوههم؟

وجوابنا: أنه –تعالى– قادر على ذلك ويكون أدخل في الذل والاهانة ويحتمل أن يكون المراد أنّهم يساقون وجهًا واحدًا إلى جهنّم من دون ميْل وتوقف، كما يقول القائل: جئتك اليوم وجهًا واحدًا.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[2]: كيف يصح وصفه بأنه مدّ ولا يتأتّى فيه ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد به: أنّه مدّ ذلك، أي أدامه، كما قال –تعالى– في صفة الجنّة: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾[3]، لمّا لم يكن هناك شمس.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾[4]، أي دائمًا لا ينقطع، لكنّه جعل الشّمس عليه دليلًا. وذلك أحد ما تظهر به نعمه، لأنّه بالشّمس وطلوعها يعرفون كيفيّة الظلّ.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة الفُرْقَان، الآية .

[2] سورة الفُرْقَان، الآية .

[3] سورة الفُرْقَان، الآية .

[4] سورة الفُرْقَان، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً﴾[1]: كيف يصح وإنما خلق آدم من طين؟

وجوابنا: أن ذلك الطين إذا كان بالماء حصل على تلك الصفة فجاز أن يقول ذلك ويحتمل أن يريد سائر أولاده لأنه من النطفة خلقهم فسمّاها ماء.

ثمّ ذكر –تعالى– ما يبعث المرء على التمسك به من الآداب والاحكام في صفة عباد الرحمن، فقال –تعالى–: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾[2]، فذكر من صفاتهم ثلاثة عشر خصلة، إذا تأمّلها المرء وتمسّك بها، عظمت منزلته في الدين؛ ولولا خوف التّطويل، لشرحناها.

ثمّ قال –تعالى– آخرا: ﴿أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً﴾[3].

[المسألة التّاسعة]

فإن قيل: فقد ذكر –تعالى– في جملته: ﴿فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ﴾[4]: كيف يصحّ ذلك ومحال في السيّئة الماضية أن تصير حسنة؟

وجوابنا: أنّ المراد بالسيّئات عقابها وبالحسنات الثواب، فقال –تعالى– فيهم أنّهم إذا تابوا صار لهم بدلا من العقاب الثّواب.

وفي قوله –تعالى–: ﴿إِلاَّ مَنْ تابَ﴾[5] بعد ذلك الكفر.

والقتل والزّنا دلالة على أن التوبة مقبولة في كلّ ذنب لا كما يظنّه قوم في انّها لا تقبل في القتْل.

---

1 سورة الفُرْقَان، الآية .

2 سورة الفُرْقَان، الآية .

3 سورة الفُرْقَان، الآية .

4 سورة الفُرْقَان، الآية .

5 سورة الفُرْقَان، الآية .

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل ما معنى قوله –تعالى–: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ﴾[1]: وهل المراد بذلك المؤمن أو الكافر؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– قال ذلك عقيب وصف المؤمن، فالمُراد به: لولا دعاؤهم الذي هو التّوحيد والعدل، لم يعبأ –تعالى– بهم حتّى يرقّيهم في منزلة الثّواب على ما وصف، ويكون قوله –تعالى–: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾[2] يرجع إلى مَن خالف حاله حال هؤلاء المؤمنين.

ويحتمل أن يكون المُراد: الكفّار، فإنّه –عزّ وجلّ– لا يدخلهم في إنزال العقاب بهم لولا دعاؤهم وعبادتهم لغير الله.

ومعنى قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾[3]، أي بالله ورسوله، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً﴾[4].

---

[1] سورة الفُرْقَان، الآية .

[2] سورة الفُرْقَان، الآية .

[3] سورة الفُرْقَان، الآية .

[4] سورة الفُرْقَان، الآية .

سورة الشُّعَرَاء

سورة الشّعراء

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾[1]: كيف يصح هذا الجمع في الأعناق وإنما الصحيح أن يقال خاضعة؟

وجوابنا: أنّ قوله أعناقهم يشتمل على ذكرهم وذكر أعناقهم، فقوله: ﴿خاضِعِينَ﴾[2] يرجع إليهم، وقد كان –صلّى الله عليه وسلّم– يغتمّ بأن لا يؤمنوا، فبيّن –تعالى– أنّ ذلك موقوف على اختيارهم، وأنّه –تعالى– لو شاء لأنزل آية كانوا يخضعون لها، فيؤمنون لا محالة قهرًا، لكن لا ينفع، إذ المُراد: أن يؤمنوا على وجه يستحقّون الثّواب معه.

وقد قيل: إنّ المراد بالأعناق جملتهم كما يقال جاءنا عنق من النّاس والأوّل أبين.

وبيّن بعده أنّه وإن لم ينزل هذه الآية القاهرة فقد أنزل القرآن، فقال –تعالى–: ﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ﴾[3]، فبيّن أنّه معقول كما نقوله، وأنّهم مع قيام الحجّة به يعرضون عنه، فلا عليك –يا محمّد– أن تغتمّ بكفرهم، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ﴾[4].

وبيّن بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[5]، أي عزيز، انّ ذلك من الادّلة العظام التي لو نظروا فيها، لعلموا أنّ ما هم عليه باطل.

[المسألة الثّانية]

---

1 سورة الشُّعَرَاء، الآية .

2 سورة الشُّعَرَاء، الآية .

3 سورة الشُّعَرَاء، الآية .

4 سورة الشُّعَرَاء، الآية .

5 سورة الشُّعَرَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[1] وقد ناداه ربه ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]: كيف يصحّ من ذلك أن يعتلّ بهذه العلّة؟

وجوابنا: أنّه لم يرد الخوف على نفسه فإن الانبياء لا يجوز أن يبعثهم الله– تعالى– إلاّ وقد وطّنوا أنفسهم على احتمال المكاره وإنّما أراد أنّه يخاف منهم أن لا يقبلوا وسأل ربه المعونة التي تكون أقرب إلى قبولهم، فأعانه الله –عزّ وجلّ– بأخيه هارون، وقال: ﴿فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[3]؛ والاستماع، وإن لم يجز على الله –تعالى–، لأنه كالإصغاء، فالمُراد: نفس السّماع، والله –تعالى– يوصَف بذلك.

[المسألة الثّالثة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[4]: كيف يصح أن يعتدّ لفرعون بمثل ذلك؟

وجوابنا: أن ذلك بمنزلة إنكار كونه نعمة لا بمنزلة الاقرار لأن الذي فعله ببني إسرائيل يجري مجرى الظلم العظيم ويحتمل ان يكون المراد عبدت بني إسرائيل وخيبتني مع الذي كان منك من تربيتي وغير ذلك فيكون في الكلام حذف فعند ذلك قال له: ﴿وَما رَبُّ الْعالَمِينَ﴾[5]، فأجابه ربّ السّموات والأرض وما بينهما، لأنّه –تعالى– إنّما يعرف بأفعاله التي تختصّ به ولا تجوز عليه المشاهدة، فكان الذي أجابه به هو الجواب الحقيقي ولم يزل يكرر مثل ذلك حتى قال إنه لمجنون.

ثمّ قال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[6]، وليس ذلك بطعن في أدلّته والله –تعالى– مسخره لما علم من عاقبة أمر موسى –صلّى الله عليه وسلّم– عند ظهور الآيات وما ينزل بهم آخرا من الهلاك وعلى هذا ما فصّله –تعالى– في القصّة.

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[3] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[4] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[5] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[6] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾[1]: كيف يصحّ ان يقول فانهم، وإنّما يقال في الأصنام فانها؟ وكيف يصحّ ان يصفها بأنّها عدوّ، وهي جماد؟ وكيف يصحّ أن يقول إلا رب العالمين فيستثني من الاصنام رب العالمين؟

وجوابنا: أن إبراهيم صلّى الله عليه أجرى كلامه على طريقة اعتقادهم وكانوا يعتقدون في الاصنام أنّها تنفع وتضرّ كالناس بل أزيد فلهذا جمعها هذا الجمع ووصفها بهذا الوصف وإلّا فهو عالم بأنّ الأمر بخلاف ذلك، فنبّأهم على أنّ كلّ ذلك يضرهم وانّما ينتفعون بعبادة الله الذي خلق ويهدي ويطعم ويسقي الى سائر ما ذكره من نعمه.

[المسألة الخامسة]

فان قيل: كيف قال في جملة كلامه ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾[2] مع اصراره على الشرك؟

فجوابنا: أنّه دعا له على شرط التوبة والإنابة على ما تقدم قبل ذلك بيانه.

[المسألة السّادسة]

فإن قيل: فكيف قال: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وذلك ممتنع في الانبياء؟

فجوابنا: أن الداعي قد يدعو بما يعلم أنّه لا يقع على وجه الانقطاع إلى الله والتّمسّك بالخضوع، وبيّن أنّه في الآخرة لا ينفع مال ولا بنون، وإنّما تنفع الأعمال الصّالحة الخالصة ممّا يفسدها، وهو معنى قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأُزْلِفَتِ

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[3] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]؛ وبيّن ما يُقال لعابد الصّنم في الآخرة بقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾[2]، وما يقولون بقوله: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾[3].

وبيّن بقوله –تعالى–: ﴿وَما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ﴾[4] بطلان قول من يقول إن الله يضلهم، فالقرآن يكذّب قولهم.

ثمّ ذكر –تعالى– بعد قصّة موسى وهارون وقصة ابراهيم وقصّة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ما نزل بهم من الأمور، وأنزل الله –تعالى– بأممهم من العذاب.

وكلّ ذلك ليتأمّل القارئ في كتاب الله –تعالى–، فيعرف بذلك قدرته وحكمته، ويكون ذلك داعية طاعته والانصراف عن معصيته.

[المسألة السّابعة]

فإن قال: ففي جملة كلام موسى –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[5]: كيف يصحّ أن يصف نفسه مع نبوّته بهذا؟

وجوابنا: أنّ المُراد بالضالّين الذّاهلون عن التّمسّك بالطّاعة فيما أقدموا عليه، لأنّ ذلك، وإن لم يكن من الكبائر، فهو من الصّغائر.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[3] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[4] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[5] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

فإن قيل: ففي جملته: ﴿فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾[1]، وقال في موضع آخر: ﴿كَأَنَّها جَانٌّ﴾[2]، وذلك كالمتناقض.

وجوابنا: أنّ المراد أنّها كالثّعبان في العظم وكالجان في سرعة حركتها من حيث خلقت من نار السّموم.

[المسألة التّاسعة]

فان قال: ففي القصّة أنّ رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون، فأقرّ بأنّه رسول، كيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: انّه أراد أنّه كذلك في زعمه.

[المسألة العاشرة]

فان قيل: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾[3]: كيف عرف فرعون ذلك؟

وجوابنا: انّه أراد بإلقائه العداوة بينكم أنّه ينحاز بعضكم إلى بعض.

[المسألة الحادية عشر]

فإن قال: فكيف قال: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ﴾[4]، وهم في تلك الحال مؤمنون؟

وجوابنا: الذين كانوا سحرة.

[المسألة الثّانية عشر]

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[3] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[4] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[1]، أليس ذلك يدلّ على أنّه نفسه في زبر الأنبياء، والمعلوم خلاف ذلك؟

وجوابنا: أن ذكره ووصفه في زبر الاوّلين بين ذلك أنه عربي وسائر كتب الانبياء بخلافه.

ومعنى قوله من بعد: ﴿كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] يعني القرآن أي جعلناه بحيث يعلم ويقرأ فلم يقع منهم الانتفاع بذلك.

[المسألة الثّالثة عشر]

ومتى قيل: ما معنى قوله: ﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَها مُنْذِرُونَ﴾[3]: كيف يصحّ أن يصير ذلك سبب هلاكهم وهو بأن يكون سببا لنجاتهم أقرب؟

وجوابنا: أن المراد ما أهلكنا أهل قرية إلا بعد ازاحة العلة بالمنذرين الذين هم الانبياء وبعد كفرهم بهم ونصبهم العداوة لهم، فلذلك قال بعده: ﴿ذِكْرى وَما كُنَّا ظالِمِينَ﴾[4].

وفي قوله من بعد: ﴿وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وَما يَنْبَغِي لَهُمْ وَما يَسْتَطِيعُونَ﴾[5] دلالة على اعجاز القرآن، لأنّه لو جاز أن يقدر العباد عليه لجاز مثل ذلك في الشّياطين الذين لمخالطتهم بنا يعرفون هذه اللغات وأدّبه الله –تعالى– بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] بعد قوله –تعالى– ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[7]، وقبل قوله –

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[3] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[4] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[5] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[6] سورة الشُّعَرَاء، الآية .
[7] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

تعالى–: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] فلم يأمره من هذا القول في الكفّار وأمره في المؤمنين بما ذكره.

ومَن تأمّل ذلك وتمسّك بمثله في العدو والوليّ فله الحظ الكثير في استعمال الأخلاق الحسنة.

ثمّ قال –تعالى–: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ﴾[2]، فإنّ المرء إذا تصوّر فيما يأتيه أنّه –جلّ وعزّ– يراه ويعلم، كان أقرب إلى أن لا يفعل إلّا ما يحسن منه والّتوكّل على الله هو أن يلتمس الخير ويبتعد عن الشرّ فيما عهد الله –تعالى– إليه ولا يفارق هذه الطّريقة إلى ما يكرهه.

وليس التّوكّل ما يدّعيه قوم من أعمال الخير وترك التّكسّب والاشتغال بطلب ما يحتاج إليه من النّاس، فإنّ ذلك محرّم في أكثر الآيات.

---

[1] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

[2] سورة الشُّعَرَاء، الآية .

سورة النَّمْل

سورة النّمل

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾[1]: كيف يصحّ أنّه –تعالى– يكون مزينا لأعمال الكفار؟

وجوابنا: أنّ المُراد: زيّنا لهم ما ينبغي أن يعملوه وما يجب عليهم السعي فيه وقد يقال لم يوجد مع ذلك أنّ عملهم على هذا الوجه، ولذلك قال بعده: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[2] وذكر –تعالى– ذلك بعد قوله في القرآن: ﴿هُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾[3].

ثمّ قال عقيب ذلك: إنّ من لم يؤمن قد زيّنا له ما يجب أن يأتيه لكنه يعمى عن ذلك وقد قيل زينا بمعنى موافقتها الشهوة والهوى للعلم بأنّه –تعالى– يفعل الشّهوة، لكنّه يصرف عنها والوجه الاول أولى.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها﴾[4] ما معنى هذه البركة؟ وما المُراد بمَن حولها؟ وهل يتّصل ذلك بموسى –صلّى الله عليه وسلّم–؟

---

[1] سورة النّمل، الآية .

[2] سورة النّمل، الآية .

[3] سورة النّمل، الآية .

[4] سورة النّمل، الآية .

وجوابنا: أنّ البركة هي بمعنى الثّبات والبقاء، فبين –تعالى– ثبات تلك النّار لموسى ومن حولها، لأنّ موسى كان قد جاءها وصار هو وأصحابه حولها كما يتفق في العادة حال النّاس مع النّار.

وقيل: أراد –تعالى– بقوله: ﴿بورك من في النار﴾[1]: موسى –عليه الصّلاة والسّلام– وأراد بـ ﴿من حولها﴾[2]: الملائكة –عليهم السّلام–، لأنّهم حضروها.

ويحتمل في هذه البركة أنها لمكان البقعة التي أصابتها النار ولذلك قال تعالى في سورة القصص ﴿نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ﴾[3].

وقد قيل في: ﴿من حولها﴾[4]: أنّهم لم يكونوا مؤمنين فأثبت الله –تعالى– البركة في النّار لما جاءها موسى لما له من الفائدة في حضورها.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله تعالى ﴿يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ﴾[5] كيف يصح هذا الاستثناء من المرسلين ولا يجوز أن يكون فيهم ظالم خائف؟

وجوابنا انه قد قيل الا من ظلم بالاقدام على صغيرة ثمّ تلافاه بالتوبة فانه غفور رحيم وقد قيل ان المراد لكن من ظلم فانه يخاف الا ان يتوب فيكون كلاما مستأنفا في غير الرسل لئلّا يتوهم ان الخوف لا يزول الا عن الرسل.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ﴾[6] لا تناقض فيه لانّ الحجة بعد البيان واليقين.

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة النَّمْل، الآية .

[2] سورة النَّمْل، الآية .

[3] سورة النَّمْل، الآية .

[4] سورة النَّمْل، الآية .

[5] سورة النَّمْل، الآية .

[6] سورة النَّمْل، الآية .

وربما قيل في قوله تعالى ﴿قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها﴾[1] كيف يصح من سليمان ان يسمع قول النمل وكيف صح من النمل هذا القول؟

وجوابنا: أنّها لما قربت من موضع مسيره –صلّى الله عليه وسلّم–، وأنطقها الله –تعالى– بذلك صحّ ان يعلم ومثل ذلك وان كان معجزا فانه يصح في ايام الانبياء صلوات الله عليهم.

[المسألة الخامسة]

وربما قيل في قوله تعالى ﴿فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾[2]: كيف يصح هذا القول من سليمان –صلّى الله عليه وسلم– في طير ليس بمكلف حتى يعذبه وكيف يذكر ذلك في جملة الزجر وكيف يزيد ذلك بأن يأتيه بسلطان مبين وكيف يعرف الهدهد ذلك من مراده حتى يأتيه بخبر سبأ؟

وجوابنا: ان الله –تعالى– كان سخّر له الطير وفي جملتها ما يكون أقرب الى الفهم ولو كان ممنوعا من النطق.

ويجوز في تلك الايام ان يكون –تعالى– قد زاد في علمها بالهام وأن يكون سليمان قد تقدم من قبل بأمور عرفها الطير او الهدهد خاصة فلذلك قال ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾[3].

فأمّا قوله –تعالى– عز وجل ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾[4]، فالمراد به التأديب فكما يؤدب المرء من قارب البلوغ فكذلك قال للهدهد.

---

[1] سورة النَّمْل، الآية .

[2] سورة النَّمْل، الآية .

[3] سورة النَّمْل، الآية .

[4] سورة النَّمْل، الآية .

فأمّا الذّبح، فقد يجوز أن يكون جائزا في شريعته كما ثبت في شريعتنا مثله فيما يؤكل، فلا مطعن على ذلك بما ذكروه.

وقوله من بعد في صفة المرأة: وأنّها تملكهم وانهم يسجدون للشّمس من دون الله، فقد يصحّ وقوع مثله ممن لم يبلغ حد التكليف فلا يصح أن يعترض به على ما ذكرنا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿قالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾[1] يصحّ في الهدهد، وإن كان لا يعرف التّوحيد اذا أجرى الكلام على الحدّ الذي ذكرنا فإنّ مثله يصحّ من المراهق، لأنّه يعرف الفصل بين من يظهر التوحيد ويعبد ربه بأفعال وبين من يسجد لغير الله تعالى وان لم يكن مكلّفًا.

[المسألة السّادسة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2]: كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد في هذا القدر من الاوقات، وان ذلك معلومة استحالته؟

وجوابنا: أنّ سرعة الحركة والتحريك لا يعلم منتهى حده فلا سريع الا ويجوز أسرع منه فلا يمتنع صحة ذلك اذا كان الله تعالى مقويا له عليه ومعنى قبل ان يرتد اليك طرفك المبالغة في الاسراع لانّ ذلك قد يقال في الامر السريع الشديد السرعة ويحتمل أن طرفه لا يرتد الا بعد اوقات ويكون ذلك كالمعلوم من حاله لأنّ من نظر الى جهة ربما أطال النظر اليها ثمّ يرتد طرفه.

ومعنى قوله من بعد في قصة لوط –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[3] الفائدة فيه إعظام ما فعلوه، لأنه اذا كان جهرة فهو أعظم من أن يكون خفية وربّ شيء يحسن خلوة ويقبح كونه بحيث يشاهد.

---

[1] سورة النَّمْل، الآية .

[2] سورة النَّمْل، الآية .

[3] سورة النَّمْل، الآية .

وما ذكره –تعالى– من بعد من قوله ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ﴾[1] فيه تنبيه على عظم نعمة الله جل وعز لتدبر فيقام بحق شكره فذكر ما يقارب عشرين خصلة من النّعم التي لا يقدر عليها غيره منبها على توحيده ثمّ قال في آخره ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[2] موبخا لهم على جحد ذلك ثمّ على قول الكفار ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنَّا تُراباً وَآباؤُنا﴾[3] فانه يقبح منهم هذا القول مع تقدم تلك الدلائل ومع قوله بعد ذلك ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[4].

وقوله ﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[5] يدل على أن الحوادث كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ليستدل بذلك الملائكة على قدرة الله وعلمه.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾[6]: كيف يصحّ أن يحسبها من يشاهدها جامدة ساكنة مع شدّة الحركة وسرعتها؟

وجوابنا: أنّ الجمود في العادة الاتصال ولا يكون إلاّ مع السّكون وعند سرعة الحركة لا يحتمل التّفرّق، فقال –تعالى–: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾[7] وهي على حالها التي يظن أنها لا تكون الا مع السّكون.

وقد قيل: أنها تبلغ في سرعة الحركة ما لا يكاد يظن أنها متحركة خصوصا اذا كان المرء يتحرّك مع حركتها فيكون كراكب السفينة فانه يظن مع سائر الركاب أنهم ساكنون وإن كانوا يتحركون أسرع حركة.

---

[1] سورة النَّمْل، الآية .
[2] سورة النَّمْل، الآية .
[3] سورة النَّمْل، الآية .
[4] سورة النَّمْل، الآية .
[5] سورة النَّمْل، الآية .
[6] سورة النَّمْل، الآية .
[7] سورة النَّمْل، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] أحد ما يدلّ على ان الكفر والفساد ليس من فعله والا لكان يصح وصفه بانه محكم متقن.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[2] يدلّ على أن الاهتداء والضّلال من فعل العبد.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3] لكي يتصوّر المرء نفسه فيما يأتي ويذر أنّه يبصر ويسمع.

---

[1] سورة النَّمْل، الآية .

[2] سورة النَّمْل، الآية .

[3] سورة النَّمْل، الآية .

سورة القصص

سورة القَصَص

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾[1] أليس جعل الله –تعالى– لهم أئمّة يدلّ على أنّه خلقهم كذلك؛ فإذا كانوا أئمة بأفعال فيجب ان تكون تلك الافعال خلقا لله؟

وجوابنا أنهم إنما يكونون أئمة بالعقل والخوف والتمكن وبالألطاف من قبل الله تعالى وكل ذلك من خلقه وهو الذي أراد –تعالى– وكل ذلك من خلقه، وهو الذي أراد –تعالى–.

وقيل: ان المراد حكمنا بذلك كقوله –تعالى– ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2]، فالمراد عند الجميع قضينا وحكمنا.

وبيّن ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾[3]، فأراد بذلك نحو ما ذكرنا، لأنّ التّركة لا تكون باختيار الوارث. وكذلك قال: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[4].

واذا كان موسى –صلّى الله عليه وسلم– وقومه إنّما تمّ لهم ما تمّ بما أنزل الله –تعالى– بفرعون وبما خصّه به من المعجزات، وكلّ ذلك من فعله، صحّ أن يقول: ﴿وجعلناهم أئمّة﴾[5].

وليس المراد: خلق فيهم صلاتهم وعبادتهم.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة القَصَص، الآية .

[2] سورة القَصَص، الآية .

[3] سورة القَصَص، الآية .

[4] سورة القَصَص، الآية .

[5] سورة القَصَص، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]: كيف يصح أن يوحى اليها، وقد بيّن في غير آية أنّه ما أرسل إلّا رجالا؟ وكيف يصح وهي لم تكن نبية فيوحى اليها بما لا يعلم إلا من قبله –تعالى–؟

وجوابنا: أنه يجوز ان يعرفها ذلك على لسان نبي الزمان فلا يلزم ما قلتم ويحتمل انه ألهمها ذلك فقوى في ظنها كل ذلك الى حصول العلم لها به، وقد قيل أراها –تعالى– ذلك في المنام بعلامات مخصوصة فعلمت بها والأقرب ما قدمناه من أن رسولا كان في الزمان فعرّفها أو نزل جبريل فعرفها على ان ذلك من معجزات ذلك الرسول.

[المسألة الثّالثة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[2]: وكيف يصح ذلك مع قول امرأة فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[3]؟

وجوابنا: انّ المراد بقوله –تعالى–: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[4] العاقبة والمراد بقوله –تعالى–: ﴿قرة عين﴾[5] ما دعاهم الى التقاطه وذلك لا تنافي فيه.

وقد ثبت أنّ هذه اللفظة قد يراد بها المآل وما يقصد إليه كقول القائل في المرضعة والوالدة أنها تربّي ولدها لكي تنتفع به ويبقى لها وقد يقال مرضعة للموت إذا كان هذا هو العاقبة.

وعلى هذا الوجه قال الشّاعر :

وأم سماك فلا تجزعي فللموت ما علت الوالدة

---

[1] سورة القَصَص، الآية .

[2] سورة القَصَص، الآية .

[3] سورة القَصَص، الآية .

[4] سورة القَصَص، الآية .

[5] سورة القَصَص، الآية .

فاما قوله تعالى من بعد ﴿وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها﴾[1] فالمراد فراغ قلبها من سائر أمور الدنيا سوى أمر ولدها فلذلك قال تعالى ﴿لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] أي تصدق بما أوحينا اليها وقوله تعالى ﴿وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾[3] المُراد به: الصّرف والمنع لا التحريم في الحقيقة وذلك كقوله تعالى في أهل النار ﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾[4] فليس لأحد ان يطعن بذلك وكقوله: ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[5].

وقوله –تعالى–: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[6] يدلّ على أنّ ذلك الوحي كان مقطوعا به على ما ذكرناه.

[المسألة الرّابعة]

ومتى قيل في قوله –تعالى–: ﴿هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾[7]: كيف يصح ذلك وإنما يقال هذا من أعدائه فيستقيم الكلام؟

فجوابنا: انّ المراد ما ذكرته والعدوّ قد يقع على الجمع وعلى الواحد على طريقة العرب في المصادر.

[المسألة الخامسة]

---

1 سورة القَصَص، الآية .

2 سورة القَصَص، الآية .

3 سورة القَصَص، الآية .

4 سورة القَصَص، الآية .

5 سورة القَصَص، الآية .

6 سورة القَصَص، الآية .

7 سورة القَصَص، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ﴾[1]: كيف يصحّ من النّبيّ أن يقع منه قتل من لا يحلّ دمه؟

وجوابنا ان وكزه كان على وجه الدفع لمّا أراد مخاصمته ولم يظن انه يؤدي الى قتله وذلك كالمرء يؤدب ولده استصلاحا له فيؤديه الى الموت وهذا من الصّغائر التي نجوزها على الانبياء، ولذلك قال ﴿هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ﴾[2].

وذلك يدلّ على أن أفعال العباد ليست من خلق الله تعالى وإلاّ كان الأشبه به أن يقول هذا من عمل الرحمن، ولذلك قال بعده: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

وقوله –تعالى–: ﴿قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾[4] أحد ما يدل ايضا على ما قلناه، لأنّ فعل المجرمين إن خلق جرمهم فلا فائدة في أن يكون ظهيرا وإن لم يخلق هو أيضا فلا فائدة في ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[5] يحتمل أنّه ظهر منه ما يوجب أن لا يعينه ويحتمل أنّه خاف إن أعانه على نفسه منهم، فلا مطعن في ذلك.

وقوله من بعد: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ﴾[6] يدلّ على التأويل الثاني وانّه خاف من ذلك فلهذا امتنع من نصرته.

وقوله –تعالى–: ﴿وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[7] أحد ما يدلّ على وجوب العمل بالخبر فيما يجري مجرى الخوف

---

1 سورة القَصَص، الآية .
2 سورة القَصَص، الآية .
3 سورة القَصَص، الآية .
4 سورة القَصَص، الآية .
5 سورة القَصَص، الآية .
6 سورة القَصَص، الآية .
7 سورة القَصَص، الآية .

ولذلك خرج خائفا الى مدين وسأل الله –تعالى– أن ينجيه من القوم الظالمين ولو كان ظلمهم من خلق الله لكان ينجيه من نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَسَقى لَهُما ثُمَ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1] مع شدّة حاجته عجيب في اقتصاره على هذا القدر حتى دعاه شعيب وأمّنه وكفاه وأنكحه ابنته وقضى له موسى بعد ذلك أحسن الأجلين.

فالمرويّ عن المفسّرين أنّه قضى الاجل الأكمل.

وقوله بعد: ﴿نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾[2] أحد ما يدلّ على حدوث كلام الله –تعالى– وإلاّ كان يجب أن يكون أبدا قائلا لموسى هذا القول.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى﴾[3]: كيف يصحّ على فرعون أن يظن هذا الظن مع كمال عقله ومعرفته بأنّ القصور وإن بنيت أطول منها فلا يصح فيها ذلك؟ وكيف يصحّ ان يقول هذا القول مع قوله –تعالى– في سورة بني اسرائيل: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]؟ فان كان عالمًا بذلك، فكيف يصح ان يظنّ الاطلاع إلى إله موسى؟

وجوابنا: أنّ فرعون لمّا ادّعى الالهية وصدّقه قومه لجهلهم كان يظهر القدرة ويدعيها وإن كان في الباطن يعلم خلاف ذلك.

وعلى هذا الوجه قال: ما علمت لكم من إله غيري مع علمه باحتياجه الى الاكل والشّرب ودفع المضارّ.

---

[1] سورة القَصَص، الآية .

[2] سورة القَصَص، الآية .

[3] سورة القَصَص، الآية .

[4] سورة القَصَص، الآية .

وعلى هذا الوجه أيضًا قال لهامان، وذلك لا يمنع من أن يكون في الحقيقة عالمًا بالله –تعالى– على ما يدلّ عليه قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ﴾[1]؛ فليس بين الآيتين اختلاف.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ﴾[2]: أليس يدلّ على شكّ منه في النّبوّة؟

وجوابنا: انه –تعالى– قال ذلك على وجه الحجاج ولذلك قال بعده: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ﴾[3].

فأمّا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4] فالمراد لا تثيبه وليس المراد لا تدله ولا تبين وكيف يصح ذلك وقد قال –جل وعزّ–: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5] أو يقال أنه ظهر منه –صلّى الله عليه وسلم– شدة المحبة لإيمان ابي طالب عمه وأن يكون من أهل الجنة فأنزل الله تعالى ذلك منبّها به على أنّ الجنّة لا تنال إلّا بالعمل الصالح ولذلك قال: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[6].

[المسألة الثّامنة]

---

1 سورة القَصَص، الآية .

2 سورة القَصَص، الآية .

3 سورة القَصَص، الآية .

4 سورة القَصَص، الآية .

5 سورة القَصَص، الآية .

6 سورة القَصَص، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[1] كيف يصحّ أن يصف نفسه بأنّه يختار ما اختاروه أو يختار ما لم يختاروه؟ وأيّ فائدة في ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد ما كان لهم الخيرة في ترك عبادة الله واتّخاذ الاصنام آلهة.

ولذلك قال بعده: ﴿سُبْحانَ اللهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]، فبيّن أنّه الخالق لما يشاء، وأنّه يختار لهم التوبة، لانّ هذه الآية عقيب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[3]، فبيّن أنّه –تعالى– يختار للمكلفين ما هو أصلح، وأنّه ليس لهم الخيرة فيما يختارونه بارادتهم وشهوتهم.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[4]: كيف يصح أن يبلغ في الغنى هذا الحدّ، ومثل ذلك متعذر في العادة؟

وجوابنا: أنّ العصبة قد يقلّ عددها ويكثر، فلا يمتنع أن يكون الله –تعالى– قد آتاه من الاموال ما فرقه في الظّروف الكثيرة وبلغت مفاتيح غلقها ما ذكره الله –تعالى–.

ولسنا نعلم أنّ الغلق في ذلك الزّمان كيف كان، فانّه قد يعظم فتعظم لذلك مفاتيحه وقد يصغر ومعلوم أن كثيرا من الملوك يجتمع في خزانته مثل ذلك وأكثر فلا حاجة لاستبعاد ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ﴾[5] لا بدّ من حذف في الكلام، وهو لا تفرح بما حصل فرح من يظنّ أنّه يدوم ويبقى.

---

[1] سورة القَصَص، الآية .

[2] سورة القَصَص، الآية .

[3] سورة القَصَص، الآية .

[4] سورة القَصَص، الآية .

[5] سورة القَصَص، الآية .

وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾[1] يدلّ على ما قلناه، فكأنّهم أشاروا عليه بأن ينفقه في سبيل الله وينصرف عن الجمع الكثير.

وقوله: ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾[2] المُراد به: التمتع بالقدر الذي يخرج في العرف.

وقد قيل: إنّ المراد أن يأتي في الدنيا ما يفوز لأجله بالآخرة إذ الدنيا إنما تراد لمثل ذلك إذا وسّع الله على المرء ولذلك قال –تعالى– آخرا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً﴾[3] حاكيا عن أولي العلم منهم.

ونبّه –تعالى– بقوله: ﴿فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ﴾[4] على أنّ الاعتداء بالدنيا وان كثرت من أعظم الخطأ وأن الواجب تفريق ذلك في مصالح الدين والدنيا وقال –تعالى– ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5] فان من يكون بغيته جمع الاموال وعمارة الدنيا ويلهو عن الآخرة فمراده العلو في الارض والفساد.

فان أضاف الى ذلك التسلّط على النّاس لما فضله الله به فهو أعظم ولمن يعنى بذلك ارادة العلو في باب الدّين فإن بلغ الانبياء هذه الرتبة العالية، فيجوز أن يريدوا انقياد الناس لهم ودخولهم تحت طوعهم.

وقوله –عزّ وجلّ–: ﴿وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6] أحد ما يدل على أنه لا يزيد في العقاب البتة وان كان يزيد على الثواب التفضل الكثير.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[7] فالمراد به أنه يفني جميع الاشياء ثمّ يعيد ما يجب إعادته.

---

[1] سورة القَصَص، الآية .
[2] سورة القَصَص، الآية .
[3] سورة القَصَص، الآية .
[4] سورة القَصَص، الآية .
[5] سورة القَصَص، الآية .
[6] سورة القَصَص، الآية .
[7] سورة القَصَص، الآية .

وقوله: ﴿إلاّ وجهه﴾[1] المراد به إلّا هو، فليس للمشبّهة تعلّق بذلك ويلزمهم أن أثبتوا لله وجهًا ويدًا أن يقولوا إن سائره يفنى ويبقى وجهه وليس ذلك مما يعتقده مسلم.

وعلى هذا السّبيل يقال هذا وجه الامر وهذا وجه الصواب فقد يذكر الوجه ويراد نفس الشيء فعلى هذا الوجه نتأول الآية.

[1] سورة القَصَص، الآية .

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت

[المسألة الأولى]

قد بيّن –تعالى– في هذه السّورة ما إذا وطّن المكلف نفسه عليه كان باعثا له على العبادة وصارفا له عن المعاصي، فقال –تعالى–: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[1] فبيّن أن المؤمن لا يخلو من فتن ومحن وشدائد، وأن الواجب أن يعتبر بذلك ويصبر وصبره على ذلك يدعوه الى الصّبر على العبادة وعن المعاصي.

ثمّ بيّن أن هذه عادة الله –تعالى– فيمن تقدم أيضا، فقال –جلّ وعزّ–: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾[2].

وذكر العلم وأراد المعلوم لأنه –تعالى– عالم لم يزل ولا يزال ولا يعلم الشيء عند كونه فقط ومثل ذلك يجري مجرى الوعيد كقول القائل لغيره أنا عالم بتقصيرك إذا قصرت وبوفائك اذا وفيت ثمّ بيّن من بعد بقوله: ﴿وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾[3] أنّ مَن تمسّك بعبادته فإلى نفسه أحسن، وأنّه –تعالى– ما أراد بتكليفه إلاّ أن يعرضه للمنزلة العالية ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾[4]، وبيّن أنّه وصّى المرء ببرّ الوالدين إيجابًا لحقهما، وأنّه يجب أن لا يمتنع من برهما، وإن دعواه إلى الشرك، لكنّه لا يطيعهما في باب الدين ويصاحبهما بالمعروف.

[المسألة الثّانية]

---

[1] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[2] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[3] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[4] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

ومتى قيل: ما معنى قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[1]؟ وأيّ فائدة في هذا الادخال، وقد آمنوا وعملوا الصالحات؟ ولمَ صاروا هم بأن يدخلوا في الصّالحين أوْلى من أن يدخل الصّالحين في جملتهم؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– قد بيّن ما للصّالحين من المنزلة في الآخرة وما يفعله بهم من معونة ونصرة في الدنيا ثمّ بين أن كل من آمن وعمل صالحا فهو داخل في هذا الوعيد باعثا لهم على التمسك بالايمان وبيّن من بعد أن المعتبر بالاخلاص لا بالقول، فقال –تعالى–: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللهِ﴾[2] وبيّن أنّ النّفاق يمنع من دخول المنافق وإن أظهر الايمان فيما وعد به الصالحين، فقال –تعالى– ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ﴾[3].

[المسألة الثّالثة]

ومتى قيل: ما معنى قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ﴾[4]؟

فجوابنا أنّ الله –تعالى– أنكر ذلك عليهم بقوله: ﴿وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[5].

وانّما قالوا ذلك إيهامًا للمؤمنين بأنّهم ينصرونهم في الدّنيا وينفعونهم لا بأنّهم يحملون خطاياهم في الحقيقة.

ثمّ بيّن –تعالى– أن الامر بالضد من ذلك وأن هؤلاء الكفار يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، لأنّهم إذا دعوا غيرهم إلى الكفر والمعاصي كانت هذه منزلتهم.

[المسألة الرّابعة]

---

1 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

2 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

3 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

4 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

5 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

ومتى قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً﴾[1]: كيف يصحّ ان يعيش المرء هذا القدر، وهذا بخلاف العادة؟

فجوابنا: أن من ينكر ذلك، فمراده دعاء إلى التّعطيل والإلحاد، والله –تعالى– قادر على ذلك.

وعلى هذا الوجه بيّن أمر الجنّة وأنّه يبقيهم.

ومَن تأوّل ذلك على أنّ المراد أنّ دعوته الى الشّريعة بقيت هذه المدّة، فقد أخطأ، وكان –صلّى الله عليه وسلّم– يدعو حالاً بعد حال ويصبر عليهم، كما ذكره الله –تعالى– في نبوّة نوح، ثمّ دعا عليهم آخرًا بقوله: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً﴾[2] لما علم بأنّهم لا يؤمنون، وأنزل الله –تعالى– بهم من بعد العذاب.

وقوله –عزّ وجلّ–: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ﴾[3] يدل على أنّه بقي هذه المدة، وانّه بقي بعدها أيضا.

ولذلك قال: ﴿وَجَعَلْناها﴾[4]، يعني السفينة، ﴿آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾[5].

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6]: ما فائدة قوله –تعالى–: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[7]، والمعلوم أنّ ذلك خير لهم على كلّ حال؟

---

1 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

2 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

3 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

4 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

5 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

6 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

7 سورة العَنْكَبُوت، الآية .

وجوابنا: أنّ ذلك يقال على وجه التّهديد لا لأنّ علمهم يدخل ذلك في أن يكون خيرًا، ثمّ بيّن لهم انّ الذين يعبدونهم لا يملكون لهم رزقًا ولا نفعًا، وأنّ الواجب عبادة مَن يبتغى من جهته الرّزق، ومَن اليه المرجع في الاثابة.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾[1]: كيف يصحّ وقوع الكفر في الآخرة؟

وجوابنا: أنّ المراد بهذا الكفر الجحد والانكار، فانّ المودّة بين المبطلين تكون في الدّنيا دون الآخرة، كما قال –تعالى–: ﴿الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها﴾[3]: كيف خفي على ابراهيم انهم لم يريدوا بالاهلاك لوطا ومن آمن معه حتى قال ما قال فأجابوه بما أجابوا؟

وجوابنا: أنه يجوز في الدنيا أن يلحق العذاب بالعصاة ويكون فيهم غيرهم فيكون ذلك محنة فلما كان ذلك مجوزا جاز أن يقول إبراهيم –صلّى الله عليه وسلم– ما قال ولا يمنع أن يكون في ظنّه انّ القوم لا يعرفون أنّ لوطًا فيها فعرّفهم ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ﴾[4] لذكر ما أنزله بأمم الانبياء من العذاب.

---

[1] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[2] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[3] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[4] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

وقوله بعد ذلك: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] يدلّ على انّ هذه الافعال أفعال العباد ليصح أن يؤاخذوا بها، وان ينسب الظّلم الى أنفسهم كما نقوله في هذا الباب.

[المسألة الثّامنة]

وقوله من بعد: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[2]: أيدل على ما نقوله من أنّه لا يفعل إلاّ الحكمة والصّواب وفي قوله بعد ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[3] ربما يقال: إنّا نرى من يصلّي ولا ينتهي عن ذلك فكيف يصح هذا الظّاهر؟

وجوابنا عنه: ان الذي تنهى الصّلاة عنه هو الذي لا يقع والمصلي وان فعل منهما الكثير فمعلوم من حاله انه غير فاعل لشيء من ذلك في بعض الاوقات فبيّن الله تعالى أنه أوجبها لأن عندها ما هو ازيد منه ومعلوم أيضا أنه غير فاعل المصلى لا يختار الفحشاء والمنكر وإلا فالصلاة محال أن تنهى فالمراد ما ذكرناه وهذا أحد ما يعتمد عليه في أنه تعالى لا يعبد بهذه الشرائع إلا لهذا الوجه.

[المسألة التّاسعة]

وقوله من بعد: ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[4] ربّما قيل فيه انّ ظاهره يقتضي فيمن ظلم منهم أنّه يجادل بما ليس أحسن وذلك لا يصحّ؟

وجوابنا: أن من ظلم منهم نفسه وتمرد لا يكون ما يلزمنا أن نرد به عليه مثل الذي نخاطب به غيره وإن كان الجميع حسنا أنّا نفعل مع بعضهم ما غيره أحسن منه، وان كان كلّ ذلك من باب الحسن.

---

[1] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[2] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[3] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[4] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1] يدلّ على ما نقوله من أنّه –تعالى– ينزه الانبياء عن كلّ أمر ينفر عنهم.

[المسألة العاشرة]

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾[2] ربّما يتعلق به الخوارج في أن كل فسق كفر وربما يتعلق به من يقول إنه مع الايمان لا يضر شيء.

وجوابنا أن ذلك لا يمنع من أن يحيط بغيرهم فلا يدل على ما قالوه.

وفي قوله –تعالى–: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] دلالة على انّهم يعاقبون ويعرفون أن ذلك العقاب عدل من حيث عملوا وأذنبوا ولو كان ذلك من خلق الله –تعالى– فيهم لما صحّ ذلك.

[المسألة الحادية عشر]

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[4]، ربّما يقال ما الفائدة في ذلك، وهو معلوم للمخاطب؟

وجوابنا أن المراد فاياي فاعبدون ولا يصدّنّكم عن العبادة عدم الاستقرار في مكان واحد، بل يجب أنّ المرء يكون الوفاء بعبادة الله –تعالى– ولو مع التّحوّل ان تحول فأرض الله واسعة.

[المسألة الثّانية عشر]

---

[1] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[2] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[3] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

[4] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك في وصف الدّار التي هي جماد؟

وجوابنا: انّه –تعالى– بيّن بهذا المجاز ما لا يفهم بالحقيقة، إذ المراد أنّ هذه الدّار من حقّ الحياة فيها أن تدوم ولا تنقطع، ومن حقّها أن يدوم نعيمها بلا بؤس وأن يتّصل ولا مشقّة.

[1] سورة العَنْكَبُوت، الآية .

سورة الروم

سورة الروم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾[1]: كيف يصحّ أن يفرحوا بغلبة بعض الكفّار لبعض؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– لمّا بشّر المؤمنين بأنهم سيغلبونهم ذكر ذلك فلو لم يكن إلّا ما يظهر من صدق هذا الوعد لكفى، فكيف وقد ينصر المؤمن مما يجري من الذل على الكفار من قبل الكفار أيضا؟!

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾[2]، وبيّن ان الاكثر من النّاس لا يعلم الاّ ظاهر الحياة الدّنيا دون ما يتعلّق بالدين بقوله –تعالى–: ﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ﴾[3].

[المسألة الثّانية]

ومتى قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾[4] لماذا كرّر؟ وما الفائدة فيه؟ وهل يحمل على التأكيد أو فيه مزيد فائدة؟

فجوابنا: [...][5]

[المسألة الثّالثة]

---

1 سورة الرُّوم، الآية .

2 سورة الرُّوم، الآية .

3 سورة الرُّوم، الآية .

4 سورة الرُّوم، الآية .

5 سورة الرُّوم، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ﴾[1]: كيف يصحّ أن يسمّى ما يفعله بهم –تعالى– سوءا وذلك لا يكون إلاّ قبيحًا؟

وجوابنا: أنّه أجرى هذا اللّفظ على ما هو جزاء عليه كقوله: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[2]، وذكره كثير في اللغة والا فما يفعله –تعالى– لا يكون الا عدلا وحكمة وذلك لا يوصف بهذا الوصف ولذلك لا يحسن وصف الله –تعالى– بأنّه مسيء.

[المسألة الرّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[3]، ثمّ قال ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾[4]؛ فبيّن أنّهم عند قيام الساعة يتفرّقون الى هذيْن القسميْن كافر ومؤمن، فقولك إنّ الفاسق له منزلة بينهما يبطل.

وجوابنا أنّه –تعالى– قال: ﴿يتفرقون﴾[5]؛ ثمّ ابتدأ بقوله –تعالى–: ﴿فأما الذين آمنوا﴾[6]، ﴿وأما الذين كفروا﴾[7]، فذكرهما ولم ينف ثالثا لهما، وقد ثبت حكم ذلك الثالث بسائر الآيات.

[المسألة الخامسة]

---

1 سورة الرُّوم، الآية .
2 سورة الرُّوم، الآية .
3 سورة الرُّوم، الآية .
4 سورة الرُّوم، الآية .
5 سورة الرُّوم، الآية .
6 سورة الرُّوم، الآية .
7 سورة الرُّوم، الآية .

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾[1] أليس يدل ذلك على ان كلامهم من خلق الله –تعالى–؟

وجوابنا: أن اختلاف خلقة الالسنة من قبله –تعالى–، ولأجل هذا الاختلاف يدرك كلامهم مختلفا فمن كان في لسانه رقة لا يكون كلامه بمنزلة كلام من في لسانه غلظ وكذلك اختلاف منافذ الرياح والنفس فبيّن تعالى ان في ذلك آية وعبرة.

وهذا الجواب اولى من قول مَن يقول إنّ المُراد به اختلاف اللّغات، وانّها من باب التّوقيف وتضاف الى الله –تعالى–، لأنّ الوجه الذي به يقع الاعتبار في اختلاف الألسنة هو في كيفية ادراكنا، لانّ الكلام في اللغات هل هي توقيف او اصطلاح؟ فيه الخلاف الكثير.

ومعنى قوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[2] أنهما تقومان بفعله وارادته وذكر الامر على وجه التفخيم لشأنه كأن هناك أمرا هو قول. وهذا كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3].

وقوله تعالى من بعد: ﴿ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[4] يجري هذا المجرى، لأنّه –تعالى– لا يدعوهم في الحقيقة، لكنّه يجيبهم ويكمّل عقولهم ويمكّنهم، فيخرجون ويرجعون إلى الله –تعالى– بمعنى الى حيث لا حاكم سواه.

[المسألة السّادسة]

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[5] ربّما قالوا فيه ان ذلك يدل على جواز الضّعف عليه.

وجوابنا: أنّه بمعنى هيّن كما إذا قلنا في الله إنّه أكبر وأعظم، فالمُراد به كبير عظيم، وكما قال الشّاعر :

---

[1] سورة الرُّوم، الآية .

[2] سورة الرُّوم، الآية .

[3] سورة الرُّوم، الآية .

[4] سورة الرُّوم، الآية .

[5] سورة الرُّوم، الآية .

إنّ الذي سمك السّماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزّ وأطول

والمعنى أنّه عزيز طويل.

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[1] كيف يصح ظهور الفساد لاجل كسبهم؟

وجوابنا: أنّهم اذا أفسدوا في الارض وظلموا ومنعوا الحقوق يظهر بذلك الفساد في الموضعين واذا قلت النعم من جهة الله –تعالى– لاجل ذلك كان ردعا لهم عن أمثال ما فعلوا وبذلك قال –تعالى–: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2] ولا يمتنع أن يكون الصّلاح عند كسبهم أن يقع من الله تعالى التضييق في المعيشة على وجه الاعتبار كما فعله –تعالى– بأمم الأنبياء من إنزال العقاب بهم.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[3] فبيّن ما نالهم لاجل شركهم.

وقوله من بعد: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[4] هو خطاب للكل وإن كان لفظه خاصًّا والمُراد بالوجه نفس الانسان فكأنه قال فأقم نفسك للدين القيم حتى لا تحول عنه ولا تزول فلا تأمن في كل وقت من الاخترام فاذا ثبت على الاستقامة كنت من الفائزين. ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾[5].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾[6] يدلّ على أنّه من فعله والاّ كانت اضافته الى خالقه أوْلى.

---

[1] سورة الرُّوم، الآية .

[2] سورة الرُّوم، الآية .

[3] سورة الرُّوم، الآية .

[4] سورة الرُّوم، الآية .

[5] سورة الرُّوم، الآية .

[6] سورة الرُّوم، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[1] يوجب أنّ ذلك من فعلهم أيضًا.

وقوله تعالى من بعد ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] يدلّ أيضًا على ذلك، لانّ المجازاة من الله –تعالى– على نفس ما خلق لا تصحّ.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾[3] يدلّ أيضًا على ذلك؛ لأنّ الكفر، إن كان من خلقه، فقد أراده وأحبّه؛ وإذا أراده، فقد أحبّ الكافر، إذ محبّة الكافر هو محبّة كفره.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾[4] يدلّ على انّ الجرم من قبلهم.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَكانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] يدلّ على انّ ايمانهم من قبلهم، إذ لو كان خلقًا من الله لكان ناصرا لنفسه، وذلك محال.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾[6] هو على وجه المبالغة لتركهم القبول والتّفكّر، وكذلك قوله ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ﴾[7]. ولذلك قال –تعالى– بعده ﴿إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[8].

ولو أراد حقيقة الصمّ، لكان حالهم في الاقبال كحالهم في الادبار. ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا﴾[9].

فأمّا قوله –عزّ وجلّ–: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾[10]، والضّعف عرض لا يصحّ أن يخلق الجسم منه، فالمراد: المبالغة في ضعفه وهو على ما هو عليه.

---

1 سورة الرُّوم، الآية .
2 سورة الرُّوم، الآية .
3 سورة الرُّوم، الآية .
4 سورة الرُّوم، الآية .
5 سورة الرُّوم، الآية .
6 سورة الرُّوم، الآية .
7 سورة الرُّوم، الآية .
8 سورة الرُّوم، الآية .
9 سورة الرُّوم، الآية .
10 سورة الرُّوم، الآية .

وبيّن ان آخر أمره أن لا ينتظر له قوة بعد ضعف <...>[1] بقوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾[2].

وكلّ ذلك تحريك لهم على التّدارك الى التّوبة، خصوصًا وقد أدرك حال الشّيبة.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ﴾[3]: كيف يصحّ أن يخبروا بذلك ويقسموا عليه، وهو كذب، وعندكم أنّهم في الآخرة هم ملجئون الى أن يفعلوا القبيح؟

وجوابنا: أنّ المراد بذلك إخبارهم عن أنّهم ما لبثوا غير ساعة عند أنفسهم، لأنّ ما بين الموت والاعادة وان طالت مدته فهو كالقصير من الاوقات في أن المعاد لا يتبين له ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾[4] يدلّ على ما نقول، لأنّه إن كان ظلمهم من خلق الله فهم مستغنون عن المعذرة.

---

[1] في الأصل إضافة لرحف العطف: و، وإضافة هذا الحرف في هذا الموضع لا وجه لها.

[2] سورة الرُّوم، الآية .

[3] سورة الرُّوم، الآية .

[4] سورة الرُّوم، الآية .

سورة لُقْمان

سورة لقمان

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾[1]: كيف يصح مع ثقلها وعظمها أن تقف لا على عمد؟

وجوابنا أنّه –تعالى– إذا سكنها حالا بعد حال وقفت وان كانت ثقيلة كما أن أحدنا يمسك يده وقد بسطها فمن حيث يفعل فيها السكون حالا بعد حال تثبت ولذلك متى لم يسكنها سقطت لانّ أحدنا يغفل ويلهو والله سبحانه يتعالى عن ذلك واختلف المفسرون في ذلك فقال بعضهم الفائدة فيه نفي نفس العمد أصلاً على ما ذكرنا.

وقال بعضهم: الفائدة فيه أنّا لا نرى العمد والاول هو أقوى، وهو داخل في الأعجوبة.

وقوله –تعالى– من قبل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] يدلّ على أنّ المضلّ هو الانسان، وأنّه مذموم ويدلّ على أنّ كلّ قول قيل بلا علم في الاديان فهو مذموم.

وقوله –تعالى– المتّصلة من بعد: ﴿وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾[3] يدلّ على أن العشرة بأحوال الدنيا قد تحسن مع المباينة في الدّين.

ثمّ بيّن أنّ من أناب الى الله يجب أن يتبع، فقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ﴾[4] الى قوله –تعالى– من بعد حاكيا عن لقمان: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾[5] القصد فيه أن يتأمّله المرء فيعمل به.

---

[1] سورة الرُّوم، الآية .

[2] سورة الرُّوم، الآية .

[3] سورة الرُّوم، الآية .

[4] سورة الرُّوم، الآية .

[5] سورة الرُّوم، الآية .

فان هذه الوصية جامعة للانقطاع الى الله تعالى بعد المعرفة بعلمه وقدرته لان قوله –تعالى–: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1] يؤذن بأن ما أقدم المرء عليه دق أم جل فهو معلوم لله وتكون المجازاة بحسبه وذلك ردع عظيم، وهي جامعة القيام بالعبادات، وهو بقوله: ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ﴾[2] وهي أيضا جامعة للآداب وما ينبغي أن يتمسك به المرء من الاخلاق والتواضع وهو بقوله: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾[3] الى آخر الكلام.

وقوله من بعد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4] يدل على أن التمسك بالمذاهب إنما يحسن اذا كان عن علم.

وقوله: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾[5] ممّا لا مزيد عليه في بطلان التقليد، لأنه – تعالى– بيّن أنهم اذا جاز أن يتركوا الدليل اتباعا لآبائهم من دون دلالة فقد جاز أن يرجعوا إلى اتباع الشّيطان فيما يدعوهم اليه لأن ما في كلا الموضعين هو اعتماد على القول من دون دلالة.

وهذا هو الذي نعتمد عليه في بطلان التقليد ونقول إنه إذا جاز تقليد الآباء في الاسلام، فيجوز تقليد أولاد النّصارى لآبائهم لأن كل ذلك اعتماد على قبول القول من غير دلالة.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ﴾[6] يدلّ على أن كلام الله مقدور له يحدث حالاً بعد حال لا كما قاله قوم من أنه متكلم بذات أو بكلام قديم لا يصح فيه زيادة ولا نقصان.

---

[1] سورة الرُّوم، الآية .
[2] سورة الرُّوم، الآية .
[3] سورة الرُّوم، الآية .
[4] سورة الرُّوم، الآية .
[5] سورة الرُّوم، الآية .
[6] سورة الرُّوم، الآية .

[المسألة الثّانية]

وربّما تعلّقوا بقوله –تعالى–: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ﴾[1]، وقالوا: يدل ذلك على أن جريه من فعل الله –تعالى– ليكون مضافًا الى الله –تعالى–. ولولا ذلك لوجب أن يكون مضافا الى الملاح، ولمَا صحّ أن يكون آية، وقد قال –تعالى– ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ﴾[2].

وجوابنا: أنّ وجه الاعتبار في ذلك خلقه تعالى للماء في البحر على الصفة التي معها تجري السفن وخلقه الرياح على هذا الوجه ولولا ذلك لما صحّ جريها بفعل العباد وفي ذلك آيات الله –تعالى– ونعمه، لأنّه لولا ذلك لما صحّ التّوصّل الى قطع البلاد وجلب النعم.

وقوله –تعالى–: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[3] يدلّ على أن الجحد لا يكون من خلق الله –تعالى–، إذ لو كان من خلقه لمَا صحّ أن يذمّه هذا الذم العظيم.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[4]، أي عقاب ربكم بالتحرز من المعاصي.

وقوله –تعالى–: ﴿وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[5] من أقوى دلالة ما يدلّ على أنّ وعده ووعيده لا يجوز أن يقع فيهما خلف ومن أقوى ما زجر الله به عباده عن المعاصي فإذا تدبّر المرء عند قراءته ما ذكرنا عظم انتفاعه بذلك؛ ولذلك قال بعده: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾[6] يعني بذلك متاعها ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[7] زجر بذلك عن قبول كلّ قول يغر المرء ويصرفه عن التّمسّك بطاعة الله.

---

1 سورة الرُّوم، الآية .
2 سورة الرُّوم، الآية .
3 سورة الرُّوم، الآية .
4 سورة الرُّوم، الآية .
5 سورة الرُّوم، الآية .
6 سورة الرُّوم، الآية .
7 سورة الرُّوم، الآية .

ثمّ بيّن –تعالى– ما يختصّ به –عزّ وجلّ– من العلم ولم يطلع العباد عليه بالادلّة وان جاز أن يطلع أنبيائه على بعضه ليكون معزا لهم، فقال –جلّ من قائل–: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[1].

وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يحكم أن أحكام المنجمين صحيحة فيما جرى هذا المجرى.

[1] سورة الرُّوم، الآية .

سورة السَّجْدَة

سورة السجدة

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾[1]: أليس ذلك صريحًا في أنّه –تعالى– في السّماء؟

وجوابنا: أنه جعل –جلّ وعزّ– السّماء مكانًا للملائكة وللأرزاق التي بها يحيي النّاس. ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾[2]، فلاجل ذلك قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[3].

ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[4]، أي الى المكان الذي لا حكم فيه الا حكمه، لانّ الملائكة طوع الله ولا يفعلون إلا بأمره.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[5].

وجوابنا: أنّ المُراد بهذه الآية نزول الملائكة بالوحي وغيره من السّماء إلى الأرض ورجوعها إلى مكانها، فلا يكون ألف سنة، بل بين السّماء والأرض مسير خمسمائة عام.

---

1 سورة السّجْدَة، الآية .

2 سورة السّجْدَة، الآية .

3 سورة السّجْدَة، الآية .

4 سورة السّجْدَة، الآية .

5 سورة السّجْدَة، الآية .

وأمّا الآية الثانية فالمراد بها يوم القيامة ويدلّ عليه قوله –تعالى–: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيباً﴾[1] فبيّن أنّه يطول ذلك الزمن على الكفار لشدته فيساوي لاجل تلك الشدائد خمسين ألف سنة.

وقوله من بعد ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[2] يبين أنه لا قبيح في قوله ولا أسمائه.

[المسألة الثّالثة]

فان قيل: ففي جملة ما خلق ما يقبح في الصّورة.

فجوابنا: أنّ المراد نفي ما يقبح في العقل من فعله لا ما يستقبح في الصورة بين ذلك ان هيئة الانسان في صلاته وقضاء حاجته والنهي عن المنكر قد يستقبح في المنظر وتوصف مع ذلك بأنها حسنة وحكمة.

وقوله تعالى–: ﴿أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ﴾[3] يدلّ على بطلان تعلقهم في باب الرؤية بذكر اللقاء لانّ الله –عزّ وجلّ– بين أنهم كافرون بلقاء ربهم وأراد كفرهم بالاعادة وبالثواب والعقاب.

وقوله –عزّ وجلّ– من بعد: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[4] المراد به: يقولون ربنا وحذف مثل ذلك يحسن في الكلام اذا كان فيه ما يدلّ عليه ولا يجوز أن يتمنوا ذلك ويسألوه الا والعقاب من جهتهم يقع وباختيارهم يكون.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها﴾[5] فالمراد به على وجه الالجاء الذي وقع لم ينتفعوا به لانهم انما ينتفعون بما يفعلونه طوعا ليستحقوا به الثواب ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[6].

---

[1] سورة السّجْدَة، الآية .

[2] سورة السّجْدَة، الآية .

[3] سورة السّجْدَة، الآية .

[4] سورة السّجْدَة، الآية .

[5] سورة السّجْدَة، الآية .

[6] سورة السّجْدَة، الآية .

وقوله [–تعالى–]: ﴿فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا﴾[1] يدلّ على أنّ اللّقاء ليس بمعنى الرؤية وأراد تركتم النظر والعلم بالاعادة.

وقوله –تعالى–: ﴿إِنَّا نَسِيناكُمْ﴾[2] والنسْيان على الله –تعالى– لا يجوز والمراد به عاقبناكم على تركككم على مثال قوله –تعالى–: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[3].

وقوله –تعالى–: ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[4] يدلّ على أنّ الفاسق ليس بمؤمن لانّه –تعالى– ميّز بينهما فجعل للمؤمنين جنات المأوى وللفاسقين النّار.

[المسألة الرّابعة]

ومتى قيل ما معنى قوله –تعالى–: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[5]؟

وجوابنا: أنّ المراد ما عجله من الآلام لكي يصلحوا، فسمّاه عذابًا مجازًا.

ويجوز أن يريد بذلك عذاب القبْر أو الحدود التي تقام على بعضهم فمن يعلم ذلك يكون أقرب الى أن يرجع عن معاصيه.

وقوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها﴾[6] أحد ما يدلّ على أنّ العبد مختار لفعله والا فالاعراض ممّن لا يقدر على الشيء وتركه محال لأنه لا يقال في أحدنا أنه أعرض عما يعجز عنه.

---

[1] سورة السّجْدَة، الآية .

[2] سورة السّجْدَة، الآية .

[3] سورة السّجْدَة، الآية .

[4] سورة السّجْدَة، الآية .

[5] سورة السّجْدَة، الآية .

[6] سورة السّجْدَة، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[1] والمراد به العقاب يدلّ على أن كل مجرم وان كان من أهل الصلاة فالله –تعالى– ينتقم منه إلاّ أن يكون تائبا أو جرمه صغيرا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا﴾[2] المراد به جعلناهم أنبياء وعلماء يقتدى بهم لأجل صبرهم فدل بذلك على أن الانبياء لو لا صبرهم عن معاصي الله لما جعلوا أنبياء فيبطل بذلك قول من يجوز عليهم الكفر والكبائر قبل البعثة.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3] يحمل على أنّه –تعالى– يفصل بينهم بالعلم فينقاد المبطل ويعرف المحقّ حاله في ذلك فان كان الفصل يقتضي نقل الاعراض فسيفعله –تعالى–.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾: وكيف يصح والقوم يكذبون بذلك، كما قال –تعالى– بعده: ﴿وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾، ومن لا يؤمن بيوم القيامة كيف ينتظر ذلك؟

وجوابنا: أنّ موتهم لما كان مقدّمة الاعادة جاز أن يقول ذلك.

ويحتمل أنّهم على غير يقين ممّا قالوا، فهم على شكّ وتجويز، فحكمهم حكم المنتظر.

---

[1] سورة السّجْدَة، الآية .

[2] سورة السّجْدَة، الآية .

[3] سورة السّجْدَة، الآية .

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

[المسألة الأولى]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1] ما معنى ذلك فان كان تعريفا لنا فهو معلوم؟

وجوابنا: ما جعل لأحد ما يتسع به في النظر في الامور وفي الاجتهاد وفي الرأي حتّى لا يشغله بعض ذلك عن بعض بين ذلك انّ المراد مقصور على ما جرت به العادة على النظر في الدين والدنيا.

وقد قيل: انّه كان في الصحابة من يلقب بذلك ويعتقد فيه الاتّساع في الرأي والمعرفة فانزل الله –تعالى– ذلك، لأنّ المنافقين زعموا أنه له قلبين.

[المسألة الثّانية]

ومتى قيل ما المراد بقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ﴾[2]:

كيف يصحّ أن يكون أولى بهم من أنفسهم وكيف يصح في أزواجه أن يكنّ أمهاتهم؟

وجوابنا: أنّه أوْلى بهم فيما يقتضي الانقياد في الشرع وأولى بهم فيما يتصل بالاشقاق أو المراد أنه أولى بهم من بعضهم لبعض كقوله تعالى فسلموا على أنفسكم.

وامّا أن أزواجه –صلّى الله عليه وسلم– أمّهات المؤمنين فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين وتبرئة رسول الله عن ان يخلفه في أزواجه غيره.

ولذلك روي عن عائشة في امرأة قالت انك أمي انها أنكرت ذلك وقالت انما أنا أم رجالكم لأنّ التّزويج في الرجال يصحّ فأكّد ذلك بأن شبههن بالامهات وربما حذف في

---

[1] سورة الأحْزَاب، الآية .

[2] سورة الأحْزَاب، الآية .

التشبيه اللفظ ليكون على وجه التحقيق كما يقال للرجل البليد هو حمار ولمن لا يصغي ولا يفهم انه ميت قال –تعالى–: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾[1].

[المسألة الثّالثة]

ومتى قيل ما معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾[3] ما هذا الميثاق المأخوذ من أمم الانبياء؟

وجوابنا انّه –تعالى– لما أعلمهم بوجوب طاعته وطاعة الرسول ودلّهم على ذلك ببعثة الرّسل وغيرهم وألزمهم القيام بذلك كان ذلك أوكد من المواثيق بالايمان المغلظة وأعظم في وجوب الحجة عليهم في الآخرة ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾[4].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ﴾[5]: كيف يجوز أن يزيد في عقابهن وذلك ظلم يتعالى الله عنه؟

وجوابنا: انّ مكان اتّصالهنّ برسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وعظم نعمة الله عليهن بذلك وبغيره يوجب ان ما يقع منهن من المعصية يكون أعظم عقابًا، لانّ المعصية تعظم بعظم نعمة المعصي، كما انّ معصية الولد لوالده وله عليه الحقوق العظيمة أعظم؛ فبيّن الله –تعالى– ان عقاب معصيتهنّ لو وقعت منهنّ يكون أعظم لان ذلك عين المستحقّ.

---

1 سورة الأحْزَاب، الآية .

2 سورة الأحْزَاب، الآية .

3 سورة الأحْزَاب، الآية .

4 سورة الأحْزَاب، الآية .

5 سورة الأحْزَاب، الآية .

[المسألة الخامسة]

فان قيل: فقد قال –تعالى– ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ﴾[1] فانّه كان عظم المعصية لعظم النّعمة فيجب في الطّاعة ان يكون موقعها منهنّ أخف، لانّ عظم النّعمة كما يعظم المعصية يخفّف أمر الطاعة.

وجوابنا عن ذلك: انّ الطّاعة لله –تعالى– تعظم لوجه آخر، وهو انّ النّاس يقتدون بهن لعظم منزلتهن في القلوب، كما قال –صلّى الله عليه وسلّم– مثل ذلك في مَن سنّ سنّة حسنة.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[2] أليس ذلك يدلّ على انّه –تعالى– يفعل فيهم الصّرف عن المعاصي؟

وجوابنا: انّ المراد بهذا انّه –تعالى– يلطف لهم زيادات الالطاف فلا يختارون الاّ الطّاعة فهذا معنى الاذهاب بالرجس ولذلك قال بعده: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3].

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل: ما معنى قوله في قصّة زيد: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾[4]؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– أحبّ فيما أراده من تزوج النّبيّ –صلّى الله عليه وسلم– بامرأة زيد ان يكون مظهرا لذلك، لانّه من باب ما قد أحله الله –تعالى– له، وأن لا يكون

---

[1] سورة الأحْزَاب، الآية .

[2] سورة الأحْزَاب، الآية .

[3] سورة الأحْزَاب، الآية .

[4] سورة الأحْزَاب، الآية .

في قلبه من الناس ما يتكلّف لأجله ابطان ذلك؛ ولذلك قال: ﴿فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾[1].

وقوله –تعالى– ﴿إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ﴾[2]، مع انّه مقدم في الانزال على قوله –تعالى– ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾[3]، وهي التّاسعة، لانّ المعتبر في النّاسخ أن يكون متأخّرًا في التّعريف والانزال لا في التّلاوة.

وقوله –تعالى–: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ﴾[4] فيها[5] اختلاف.

فبعض المفسرين يزعم أن ذلك مقدار ثابت بيّن به –تعالى– أنّه يحلّ له التّزوّج، فلا يدلّ على أنّه –صلّى الله عليه وسلّم– مخصوص بذلك، كما خصّ باباحة الزّيادة على أربع ومنهم من يثبت الموهبة. ولذلك قال –تعالى–: ﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

[المسألة الثّامنة]

ومتى قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ﴾ بعبارة واحدة ذلك عندكم ممنوع منه، وكيف يصحّ الصلاة من الله تعالى ومن الملائكة على الرسول؟

فجوابنا: أنّ قوله –تعالى–: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يرجع الى الملائكة فقط لانه تعالى يعظم أن يذكر مع غيره ولكنّه يعقل بذلك أنّه –جلّ وعزّ– أيضًا يصلّي على الرّسول وصلاته –جلّ وعزّ– معناها: الرّحمة العظيمة والانعام الجسم وصلاة الملائكة الدّعاء وقد قال –تعالى– قبل ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾[7] وذكر ذلك في عباده والمراد أنه يرحمكم بالهداية لتصلوا إلى الثّواب.

---

[1] سورة الأحْزَاب، الآية .

[2] سورة الأحْزَاب، الآية .

[3] سورة الأحْزَاب، الآية .

[4] سورة الأحْزَاب، الآية .

[5] في الأصل: فيها.

[6] سورة الأحْزَاب، الآية .

[7] سورة الأحْزَاب، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾[1] المراد الدعاء له بالمغفرة والرحمة العظيمة وفي الفقهاء من استدل بذلك على وجوب الصلاة عليه وعلى وجوبها في التشهد ومن حيث قال ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2] فقال بعض أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– قد عرفنا معنى السلام عليك فكيف الصلاة عليك فعلمهم كيف يصلون عليه فيوردون ذلك في الصلاة كما علمهم التشهد من قبل.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ﴾[3] كيف يصح ذلك؟

وجوابنا: أنه –تعالى– يفعل ذلك في الحقيقة لانه قادر على ذلك، فيكون أزيد في غمّهم.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ﴾[4] في السّادة الذين اتّبعوهم صحيح لانّ من سن سنة سيئة يزاد في عقابه.

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا﴾[5] ففي المفسرين من قال دخل ليغتسل فلما خرج وثيابه على حجر عدا الحجر حتى رؤي مكشوفا فبرّأه الله مما كانوا يضيفونه إليه من أنّه –عليه السّلام– آدر.

وهذا ممّا أنكره مشايخنا وقالوا إن ذلك لا يجوز على الانبياء وأن المراد بالآية أنهم اتهموه بأنه قتل هارون أخاه لانه مات قبله وكان في هارون ضرب من اللين وفي موسى –صلّى الله عليه وسلم– خشونة فلميلهم إليه قالوا هذا القول فبرّأه الله اعاده حتّى برئ موسى من هذه التّهمة.

---

[1] سورة الأحْزَاب، الآية .

[2] سورة الأحْزَاب، الآية .

[3] سورة الأحْزَاب، الآية .

[4] سورة الأحْزَاب، الآية .

[5] سورة الأحْزَاب، الآية .

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك فيها، وهي من جملة الجمادات التي لا يصحّ أن تعرف وتعلم؟

وجوابنا: أنّ المراد عرضنا الامانة أي تضييع الامانة وخيانتها على أهل السّموات والأرض وهم الملائكة، ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها﴾[2] والاشفاق لا يصحّ إلاّ في الحيّ الذي يعرف العواقب.

ثمّ قال –تعالى–: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[3]، ولو حمل نفس الامانة لم يصحّ ذلك فيه.

---

[1] سورة الأحْزَاب، الآية .

[2] سورة الأحْزَاب، الآية .

[3] سورة الأحْزَاب، الآية .

سورة سبأ

سورة سبأ

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك وقد زال التّكليف؟

وجوابنا: انّه وان زال فالشّكر والحمد لله في الآخرة يكثر، لانّهم يسرون بذلك، فيشكرون نعم الوقت حالاً بعد حال ويشكرون النعم المتقدّمة وما يفعله المرء لربّه لا يكون داخلا في التكليف.

[المسألة الثّانية]

ومتى قيل: كيف يصح في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[2]، وما تعلّق به قوله –تعالى–: ﴿عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ﴾[3] ممّا تقدّم.

وجوابنا: انّ مَن اقيمت له الدلالة على بطلان ما هو عليه مجوز اذا ذكر مذهبه أن يكون هذا جوابه لينبّه على تقصيره؛ فبيّن الله –تعالى– بأنّه عالم الغيب، وأنّه يجازي كلّ أحد يوم القيامة بما استحقّه على ما ذكره من بعد.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة سَبَأ، الآية .

[2] سورة سَبَأ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[1] كيف يصح أن يأمر الله –تعالى– الجبال والطّير، وكيف يلين الحديد وفي تليينه إبطال كونه حديدًا؟

وجوابنا: أن ذلك بمنزلة قوله –تعالى–: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] وليس ذلك بأمر فالمراد بيان أن الجبال والطّيور لا تمتنع عليه فيما يريده.

فأمّا تليين الحديد فمعلوم أنه يلين بالنار ولا يخرج من ان يكون حديدا فجعله الله –عزّ وجلّ– لداود –صلّى الله عليه وسلّم– بهذه الصفة أو جعله من حيث القوة بحيث يتصرّف فيه كتصرف أحدنا في الطين وكل ذلك صحيح.

ولما بيّن عظم نعمه على داود وسليمان بالأمور التي سخّرها لهما قال –تعالى– من بعد ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً﴾[3] بالامور التي سخرها لهما.

قال –تعالى– من بعد: ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً﴾[4] وذلك يدل على ان النعم توجب مزيد الشكر والقيام بالطّاعة على وجه الشكر.

وبيّن –تعالى– بقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[5] ان التّكليف وان عم الكثير، فقليل منهم يقوم بحقّ شكره وذكر –تعالى– ذلك ليجتهد كلّ أحد أن يكون من جملة هذا القليل فيفوز بالثّواب.

فامّا قوله –تعالى– من بعد: ﴿وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾[6]، فلا يصحّ للخوارج الذين يقولون إنّ كلّ ذنب كفر أن يتعلّقوا به لان المراد وهل نجازي بما تقدّم ذكره إلاّ الكفور؟

وقد أجرى الله –تعالى– العادة بانّه لا يعذّب بعذاب الاستئصال في الدّنيا إلاّ من كفر.

---

[1] سورة سَبَأ، الآية .

[2] سورة سَبَأ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية .

[4] سورة سَبَأ، الآية .

[5] سورة سَبَأ، الآية .

[6] سورة سَبَأ، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ﴾[1] ربما يتعلق به المجبرة انه تعالى يفعل السير وذلك بعيد لان المقدر للشّيء لا يجب أن يكون فاعلا له لان من بين الشّيء كيف يفعل يوصف بانّه قدره، وان كان الفعل من غيره.

ولذلك قال بعده على وجه الامر: ﴿سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾[2].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا﴾[3] كيف يصح من العقلاء أن يسألوا ربهم أن يباعد بين أسفارهم وهي قريبة؟

وجوابنا: ان ذلك منهم جاء على وجه الجهل كقوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾[4].

هذا إذا قرئ على هذا الوجه، وقد قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وذلك على وجه الجبر، لانّه غير أحوالهم فنالهم من المشاق في أسفارهم خلاف ما كانوا عليه وقد يقول الضّعيف بعد عليّ الطّريق لمزية مشقته وان كان حال الطّريق لم يتغيّر.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ﴾[5]: كيف يصح أن يصف نفسه بانه يعلم بانه لم يكن له عليهم سلطان وهو عالم بنفسه؟

---

1 سورة سَبَأ، الآية .

2 سورة سَبَأ، الآية .

3 سورة سَبَأ، الآية .

4 سورة سَبَأ، الآية .

5 سورة سَبَأ، الآية .

وجوابنا: انّه –تعالى– يذكر العلم ويريد المعلوم كما ذكرنا من قبل فالمراد به أنه لا يقع من إبليس إلا الوسوسة والتّرغيب في المعاصي وعند ذلك يتميز من يؤمن ممن يشك ويجهل.

ولذلك قال بعده: ﴿وَرَبُّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[1]، أي هو انّه عالم بهذه الامور قبل أن تقع.

[المسألة السّادسة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[2] من المراد بذلك؟ وما معنى قوله لمن بعد: ﴿حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ﴾[3]؟ وما الفائدة في هذا الجواب؟

وجوابنا: انّ المراد بذلك الملائكة بيّن –تعالى– انّهم لا يشفعون إلاّ بإذنه وأنهم بخلاف الشياطين فلا يقع منهم إلاّ ما هو طاعة لله –تعالى–.

وفي الخبر عن ابن مسعود أنّه –تعالى– إذا أراد أن يكلم ملائكته بما لا يريد ظهوره لغيرهم يحدث في السّماء صوتًا عظيمًا يفزع منه سائر الملائكة فإذا انجلى يقولون للملائكة الذين كلّمهم الله: ﴿ماذا قال ربكم﴾[4]، فيجيبون بقولهم: ﴿قالوا الحق﴾[5]، أي قال ربّنا الحقّ، فيعلمون أنّ ذلك من الباب الذي يجب أن لا يظهر، فهذا معناه.

وقد قيل: ان الملائكة الذين ينزلون لكتب أعمال العباد إذا نزلوا فزع من هو دونهم من ذلك وتوهّموا أن ذلك لقيام القيامة، فيسألون ويجابون بما تقدّم.

---

[1] سورة سَبَأ، الآية .

[2] سورة سَبَأ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية .

[4] سورة سَبَأ، الآية .

[5] سورة سَبَأ، الآية .

فأمّا قوله من بعد: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]، فالمُراد بيان الحق وتمييزه من الضلال كما يقوله أحدنا لمن يستدعيه لأنه صلّى الله عليه وسلم كان يعلم أنه على هدى وأن المشركين على ضلال.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[2] دليل قويّ على أنّ العبد هو القادر عليه، لأنّه –تعالى– لو كان هو الخالق فيهم الايمان لمَا صحّ أن يقولوا لولا انتم لكنا مؤمنين بل الصّحيح أن يقولوا لو لا خلق الله –تعالى– الكفر فينا لكنا مؤمنين فذلك يدلّ على قدرتهم على الايمان واعترافهم يوم القيامة بأن الذي صرفهم عن الايمان دعاء هؤلاء الرؤساء وانّه لو لا دعاؤهم لكانوا يختارون الايمان.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾[3] يدلّ أيضا على ما ذكرنا لأنهم بينوا أن الذي وقع منهم لم يكن صدًّا لهم عن الهدى وقد ظهر لهم وتجلّى أنّ ما وقع منهم إنّما وقع باختيارهم ولو كان –تعالى– يخلق فيهم لكان أقوى حجة لهم أن يقولوا أنحن صددناكم بل الله خلق فيكم ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً﴾[4] بيان من الله –تعالى– بان الاموال والاولاد لا تنفع في الآخرة وأن الذي ينفعهم إيمانهم وعملهم الصالح وبيّن من بعد بقوله –تعالى–: ﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[5] ما يقوى قلب المرء على الانفاق في طاعة الله.

[المسألة السّابعة]

فإن قيل: فنحن نرى مَن ينفق ولا يخلف الله عليه شيئًا.

---

[1] سورة سَبَأ، الآية .

[2] سورة سَبَأ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية .

[4] سورة سَبَأ، الآية .

[5] سورة سَبَأ، الآية .

وجوابنا: أنّ المُراد فهو يخلفه متى كان صلاحًا ولم يكن فسادًا ولم يوقت ذلك بوقت، وذلك يبطل السّؤال.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ﴾[1] كيف يصح ذلك وفيهم من لم يكن يعبد الملائكة بل أكثرهم ليس بهذه الصفة؟

وجوابنا: أنّ الغرض إبطال عبادة الله دون بيان لمن كانوا يعبدون من ملك أو جنّ أو صنم ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلا ضَرًّا﴾[2].

فاذا أقبل على الملائكة جلّ وعزّ ونبّه على أن من عبدهم فقد عبد من لا يملك له ضرّا ولا نفعا فقد نبّه بذلك على انّ عبادة الجنّ والصّنم بهذا التوبيخ أولى.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[3] فيما يدلّ على الضلال من قبل العبد ولا يضاف إليه من حيث زجر الله –تعالى– عن فعله والاهتداء والايمان وإن كان من فعله، فإنه يضاف الى الله –تعالى– من حيث أمر به ورغب في فعله ولطف فيه وأعان، وذلك صريح قولنا فيما يضاف الى الله –تعالى– وما لا يضاف.

---

[1] سورة سَبَأ، الآية .

[2] سورة سَبَأ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية .

سورة فَاطِرٍ

سورة فاطر

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾[1]، وذلك متناقض.

وجوابنا: أنّه لا يمتنع أن يكون بعضهم رسلاً إلى بعض، ويكون ذلك توكيدًا في ألطافهم.

فأما قوله –تعالى–: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾[2]، فالمراد أنّهم بهذا الوصف، فبعضهم له مثنى وبعضهم له رباع.

ويحتمل أن يكون الملك متمكّنًا من أجنحة هي ثلاث، ومن أجنحة هي مثنى، ومن أجنحة هي رباع، لأنّ الجناح لا حياة فيه، وهو آلة الطّيران، فقد يجوز فيه الزّيادة والنّقصان.

[المسألة الثّانية]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[3]: أليس ذلك يدلّ على أنّ كلّ محدث مخلوق فالله خالقه لا خالق سواه، وذلك بخلاف قولكم، لأنّكم تقولون أنّه من فعل الشّيء مقدّرًا، فهو خالقه، وتستدلّون بقوله: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[4]؟

---

[1] سورة فَاطِر، الآية .

[2] سورة فَاطِر، الآية .

[3] سورة فَاطِر، الآية .

[4] سورة فَاطِر، الآية .

وجوابنا: أنّه –تعالى– إنّما نفى خالقًا سواه ورازقا لنا، لأنّه قال هل من خالق غير الله يرزقكم من السّماء والارض ولا خالق بهذه الصّفة إلاّ هو، وقد بيّنا من قبل أن إطلاق هذه اللفظة لا يصح إلا في الله –تعالى– فلا وجه لإعادته.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[1] كيف يصح أن يرى القبيح حسنا؟

وجوابنا: أنّ الدّاعي له الى القبيح زينه في عينه حتى اعتقده بهذه الصّفة، وهذه طريقة اتباع مَن يضل ويفسد.

وبيّن –تعالى– بعده أنّه الذي يضلّ عن الثّواب، فقال: ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾[2].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[3]: كيف يصحّ ومن ليس بعالم قد يخشى عقاب الله؟

وجوابنا: أنّ المراد الخشية الصّحيحة، فإنّها لا تقع إلاّ من عالم بالله –تعالى– على حقّه ومن عالم بثوابه وعقابه ومن عالم بما تؤدّي هذه الخشية من العبادات وبما معه يثبت ما يخشاه، فهذا معنى الكلام.

ثمّ أنّه –تعالى– رغّب في طاعته نهاية التّرغيب بأفصح قول، فقال –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[4].

---

[1] سورة فَاطِر، الآية .

[2] سورة فَاطِر، الآية .

[3] سورة فَاطِر، الآية .

[4] سورة فَاطِر، الآية .

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[1]: كيف يصحّ في الانبياء أن يكون بعضهم ظالمين وبعضهم مقتصدين وبعضهم سابقين بالخيرات والواجب أن يكون جميعهم من السّابقين؟

وجوابنا: انّ المراد أنّه تعالى أورث الكتاب الانبياء الذين بعثهم من جملة عباده والاقسام المذكورة لم ترجع إليهم، بل ترجع إلى عبادنا، فكأنّه قال: ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من جملة عبادنا وعبادنا منهم ظالم لنفسه، وهم الذين يعصون ربّهم بكفر أو فسق ومنهم مقتصد، وهو المؤمن التّائب الذي لم ترتفع منزلته في باب الثّواب ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين علت منزلتهم.

فهذا معنى الكلام، وفيه وجوه من الاقاويل لكن الذي ذكرنا أبين. وهذه طريقتنا في اقتصار الاجوبة رغبة منّا في أن لا يطول.

وقوله –تعالى–: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[2]، وقوله –تعالى– لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[3] من أقوى ما يدلّ على أنّهم كانوا يقتدرون على الإيمان، وأنّهم قصدوا أن لا يختاروا ذلك.

---

[1] سورة فَاطِر، الآية .

[2] سورة فَاطِر، الآية .

[3] سورة فَاطِر، الآية .

سورة يس

سورة يس

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾[1]: كيف يصحّ اثبات مكلفين لم ينذروا؟

وجوابنا: أنّ ذلك يصحّ إذا كان المعلوم من حالهم انّهم يعصون في كلّ شيء على كلّ حال، فجاز أن يقتصر بهم على التّكليف دون الانذار الواقع من الانبياء.

وعلى هذا الوجه تأخّر القرآن في الزّمن.

[المسألة الثّانية]

فإن قيل: فان كان كذلك، فلمَ ذمّهم –تعالى– بقوله: ﴿فَهُمْ غافِلُونَ﴾[2]؟

فجوابنا: لأنّهم عصوا من حيث لم ينفع فيهم الانذار. ولذلك قال –تعالى–: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، ثمّ ذمّهم بأن شبّه حالهم بالمغلول، وبمَن سُدَّت عليه الطّريق.

وقد مضى الكلام في أن مثل ذلك يقع منه –تعالى– على طريقة التّشبيه والتّمثيل لحالهم بحال مَن هذا وصفه.

وقد قيل: أنّ المراد لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم على هذا الحدّ من الشّرع، والأوّل أقرب إلى الظّاهر.

---

[1] سورة يس، الآية .

[2] سورة يس، الآية .

[3] سورة يس، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾[1] ربما تعلقوا به في أنه تعالى لم يهد إلّا مَن كان قد اهتدى.

وقد تقدّم القول في تأويل مثل ذلك في قوله: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] في سورة البقرة، وبيّنّا أنّ مَن لم يقبل شبه بمَن يتعذّر عليه القبول لما تعلّمه من حال الرّسول، وأنّه أنذر الكفّار كما أنذر المؤمنين.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ﴾[3] ما الفائدة في ارسالهما اذا كان لا بدّ من ثالث؟

وجوابنا: انّ المصلحة ربما تكون في الاقتصار على اثنين في الارسال في وقت ثمّ فيما بعده تكون المصلحة في ضمّ ثالث إليهما، لأنّ المصالح تختلف بالأوقات.

[المسألة الرّابعة]

ومتى قيل: كيف يصحّ بعثه الرّسل في حالة واحدة والشرع واحد وما الفضل بين الجماعة في ذلك وبين الواحد؟

وجوابنا: أنّه إذا قدّر إرسال بعض دون بعض، فلاختلاف المصالح في الاوقات.

واذا جمع بينهم في الارسال، فلأنّ المصلحة في جماعتهم ولا بدّ في المعجز من أن يظهر على كلّ واحد أو على جماعتهم.

وقوله من بعد: ﴿وَما عَلَيْنا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[4] يدلّ على أنّه لا نبيّ الاّ، وقد بلّغ ما جاء به قبل أم ردّ.

---

[1] سورة يَسٓ، الآية .

[2] سورة يَسٓ، الآية .

[3] سورة يَسٓ، الآية .

[4] سورة يَسٓ، الآية .

وقوله –عزّ وجلّ–: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾[1]، المُراد به: مَن جاء من أقصى المدينة يسعى وظاهر ذلك يقتضى أنّ دخوله الجنّة واقع، وأنّها ليست جنّة الخلد.

ولا يمتنع في بعض مَن يحبّه الله –تعالى– أن يدخله بعض جنان السّماء، كما ذكرناه في الانبياء والشّهداء؛ فلا يصحّ أن يجعل حجّة في أنّ جنّة الخلد مخلوقة.

ويدلّ ذلك على سرور المرء بوقوف قومه على عظم منزلته واجتماعه معهم لا يكاد يعدله غيره من السّرور.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[2]: أليس يدل ذلك على أنّه –تعالى– جعل ما عملته أيديهم كما جعل الجنات، وذلك يدلّ على انّ أفعال العباد مخلوقة لله –تعالى–؟

وجوابنا: انّ قوله: ﴿وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[3] يرجع الى قوله: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾[4]؛ فكأنه قال: ليأكلوا من ثمره وليأكلوا ما عملته أيديهم بالمكاسب وغيرها، فبيّن أنّه –جلّ وعزّ– خلق لهم النّعيم ومكّنهم أيضًا من اكتساب النّعيم، فيبطل ما قالوه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾[5] أحد ما يدلّ على وجوب النّظر في الآيات وفساد التّقليد.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة يَس، الآية .

[2] سورة يَس، الآية .

[3] سورة يَس، الآية .

[4] سورة يَس، الآية .

[5] سورة يَس، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾[1]: ما معنى ذلك؟ وهل يصحّ وقوعه من عاقل؟

وجوابنا: أنّ الجاحد لربه والمنكر للقول بانّ هذه النعم من جهة فاعل حكيم قد يجوز أن يقول لمن يعتقد ربّه، وانّ النّعم من قبله هذا القول لظنّه انّه كالشبهة فيما ذهب اليه القول اذا كان الاطعام والارزاق من قبله –تعالى–، فما الفائدة في أن يحوّج العبد الى غيره؟ وهلاّ كفاه بنفسه؟

فعلى هذا الوجه يقع مثل هذا الكلام من العاقل ولو علموا ان الاحسان من الله على العبيد لا بدّ أن يكون بحسب المصالح، وأنّه قد يجعل حاجته الى غيره ويحمله الكلفة في ذلك لكي ينتفع؛ فكون له مصلحة في الطّاعة التي يلتمس بها الثّواب وإزالة العقاب لعلموا أنّ ذلك هو الحكمة والصّواب.

وقوله –تعالى–: ﴿ما يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾[2] أحد البواعث على المبادرة الى الطاعات والى الثواب من حيث لا يأمن المرء الاحترام في كلّ وقت. ولذلك قال –تعالى–: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4] يدلّ على انّ العبد يفعل ويستحقّ على فعله الثّواب أو العقاب، وأنّه لا يجوز أن يؤاخذ بعمل غيره، وأنّه لا يجوز منه –تعالى– أن يعذّب الاطفال بذنوب الآباء.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾[5]، المُراد به: القبول من الشّيطان على ما تأوّلنا عليه قوله –تعالى–: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[6].

قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "لمّا أحلّوا وحرّموا بقولهم وصفهم بذلك".

---

1 سورة يَس، الآية .
2 سورة يَس، الآية .
3 سورة يَس، الآية .
4 سورة يَس، الآية .
5 سورة يَس، الآية .
6 سورة يَس، الآية .

وقوله –تعالى–: من بعد: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً﴾[1] يدلّ على أنّ الاضلال في الدّين لا يكون من قبله –تعالى–، كما يقوله القوم وإلّا كانت الإضافة إلى الشّيطان لا وجه لها.

وقوله من بعد: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] أحد ما إذا تصوّره المرء يكون زاجرًا له عن المعاصي لئلاّ تشهد عليه جوارحه بها يوم القيامة، فتكون الفضيحة الكبرى.

وقد بيّنا من قبل ان هذا الكلام يفعله –تعالى–، فيصير بصورة أن يكون الكلام كلام اليد والرّجل، وأنّ هذا أقرب من قول من يقول هو كلامهم.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك، والمعلوم من حال كثير ممّن يعمّر انّه لا ينكس في الخلق؟

وجوابنا: انه لا بدّ من تقدير شرط في الكلام فان التعمير هو تطويل العمر واطالة العمر قد تختلف فاذا بلغ حدا مخصوصا فلا بدّ من ان ينكسه في الخلق فتغيّر أحواله فيجب أن يكون هذا هو المراد.

[المسألة الثّامنة]

وربّما تعلّقوا بقوله –تعالى–: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾[4]، كيف يصحّ ذلك، وهو –صلّى الله عليه وسلم– أفصح العرب؟

وجوابنا: أنّ المراد أنّ ما علمناه إنشاء الشّعر، فيكون حاله كحال من اتسع في معرفة اللّغة فما هو منهم ولا يجوز حمله على أنه لم يكن يعرف أوزان الشّعر أو لم يكن

---

[1] سورة يَسٓ، الآية .

[2] سورة يَسٓ، الآية .

[3] سورة يَسٓ، الآية .

[4] سورة يَسٓ، الآية .

يحفظ الشّعر، فإنّه كان يحفظه ولا ينطق به فإذا صار ذلك عادة له معروفة أبعد من التهمة فيما جعله الله معجزة له، ولذلك قال –تعالى–: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1].

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً﴾[2]، أليس ذلك يدلّ على أنّ لله –تعالى– يدين؟

وجوابنا: إن دلّ، فيجب أن يدلّ على أيدي ولا يقول بذلك أحد وإذا وجب أن يتأول ذلك فكذلك سائر الآيات وذكر –تعالى– الأيدي على طريق توكيد اضافة العمل إليه، كما قال –تعالى–: ﴿بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[3] وكما يقال في كلام وقع من المرء هذا ما عملت يداك.

وإنما تذكر اليد من حيث أنها أقوى آلات الافعال وختم جل وعز السورة بالرد على من انكر الاعادة.

والذي أورده من أقوى ما يورد في ذلك، وهو انه إذا ابتدأ الحي وصح منه ذلك وهو عالم لذاته صح أن يعيده إذا أفناه لان حال المعاد في صحة وجوده لا تغير حال القديم –تعالى– في صحّة إيجاد ما يقدر عليه.

---

[1] سورة يَسٓ، الآية .

[2] سورة يَسٓ، الآية .

[3] سورة يَسٓ، الآية .

سورة الصَّافَّات

سورة الصّافّات

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك والكواكب لا اتّصال لها بسماء الدّنيا، لأنّها جارية في أفلاكها؟

وجوابنا: أنّها في المنظر كذلك فصحّ أن يصفها تعالى بهذا الوصف وكل ما علا يوصف بأنه سماء.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[2]، وأنه قد قرئ بالضمّ، وذلك يوجب جواز التعجب على الله تعالى.

وجوابنا: أنّ المراد: قل يا محمّد بل عجبت ويسخرون، فيكون فيه هذا الحذف ويحتمل أن يكون المراد استكثاره –تعالى– لذلك الامر فأجرى هذا اللفظ عليه مجازا.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك على الأنبياء وعندكم ان أحكام النّجوم باطلة؟

---

[1] سورة الصَّافَّات، الآية .

[2] سورة الصَّافَّات، الآية .

[3] سورة الصَّافَّات، الآية .

وجوابنا: أنّه ليس في الظّاهر أنّه أراد أحكام النجوم، فيحتمل أنّه نظر في نفس النّجوم، ويحتمل أنّه أراه نجوما كان –تعالى– قد جعلها علامة له فيما يريد معرفته أو كانت علامة لهم فيما كانوا ينظرون فيه.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –جلّ وعزّ–: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1] كيف يصحّ على الانبياء الكذب؟

وجوابنا: أنّه يجوز في حال ما قال هذا القول أنّه أصابه ببعض العلل، فقال ذلك ويحتمل أنّه يريد سأسقم كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[2]، أي ستموت وكقوله: ﴿إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾[3].

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾[4]: أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد؟

وجوابنا: انّ المراد والله خلقكم وما تعملون من الأصنام فالاصنام من خلق الله وانّما عملهم نحتها وتسويتها ولم يكن الكلام في ذلك، فانّه –صلّى الله عليه وسلّم– أنكر عبادتهم، فقال: أتعبدون ما تنحتون وذلك الذي تنحتون، الله خلقه ولا يصحّ لما أورده عليهم معنى إلاّ على هذا الوجه وذلك في اللّغة ظاهر، لأنّه يقال في النّجّار عمل السّرير وان كان عمله قد تقضى وعمل الباب.

ونظير ذلك: قوله –تعالى– في عصا موسى: ﴿فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ﴾[5]، المُراد ما وقع أفكهم فيه.

---

[1] سورة الصَّافَّات، الآية .

[2] سورة الصَّافَّات، الآية .

[3] سورة الصَّافَّات، الآية .

[4] سورة الصَّافَّات، الآية .

[5] سورة الصَّافَّات، الآية .

فعلى هذا الوجه نتأوّل هذه الآية، ومعنى قوله من بعد: ﴿وَقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

[المسألة السّادسة]

وربما قيل في قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى﴾. وقوله من بعد: ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ وقوله من بعد: ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ سؤالات: منها ما رآه في المنام كيف يلزمه والانبياء إنما تعمل على الوحي؟ ومنها أنه كان يجعل ذلك كالأمر وكيف يصح أن يأمره بذبحه ثمّ يزول ذلك؟ وهل هذا إلا كالبداء؟ ومنها أنه كان الفداء بذبح، فكيف يصحّ من غير جنس ما جعل فدية له؟

وجوابنا: أن رؤيا إبراهيم في المنام يجب أن تكون قد تقررت بما يعلم به أن ذلك بالوحي ولولاه لما قال: ﴿فَانْظُرْ ما ذا تَرى﴾ ولمّا أخذ في ذبحه فإنه إن يفعل فقد مات الذبيح مع شدة إشفاقه على ولده ولذلك قال ولده: ﴿افْعَلْ ما تُؤْمَرُ﴾.

فلولا علمهما أنّ هذا أمر من الله لم يصح فأما هذا عندنا فهو أمر بمقدّمات الذّبح وعظم ذلك عليه لظنه أنّه سيؤمر بإتمام الذّبح لأن العادة جارية بأنّ الإضجاع وأخذ الآلة لا غرض فيه إلا الذبح فعلى هذا الوجه فعل ما أمر وما ظنّه لم يؤمر به فلا يؤدّي إلى البداء.

وقد قيل أنّه فعل الذبح لكنه عز وجل كان صرفه عن موضع الذبح وكان –تعالى– يلهمه فعل ما يفعله الذابح وبقي الذبيح حيًّا لما فعله الله تعالى وقيل غير ذلك فأمّا الذبح الذي أمره الله بان يفدي به فذلك صحيح وإن لم يؤمر بالذبح ويكون فداء عما لو أمر به لفعله ولا يجب في الفداء أن يكون من جنس ما يجعل فداء منه ولذلك يصحّ في الشّاة أن يكون ذبحها فداء عن حلق الشعر في المحرم إلى غير ذلك.

---

[1] سورة الصَّافَّات، الآية .

وقوله –عزّ وجلّ– من بعده: ﴿وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] بعد ذكر الامر بالذّبح يدلّ على انّ الذّبيح هو إسماعيل، على ما روي عنه –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه قال: "أنا ابن الذبيحين".

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾[2]: كيف يصحّ ذلك ولا احد يجعل بين الله وبين الجنّة نسبًا؟

وجوابنا: انّه يحتمل ان يريد الملائكة، وقد تقدّم ذكرهم، لانّهم لا يرون كالجن، وقد كانوا يقولون في الملائكة انّها بنات الله. تعالى الله عن ذلك.

ويحتمل أنّهم عبدوا الجنّ كما عبدوا الله بأن أطاعوهم.

ويبيّن ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[3]، أي في العقاب.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[4]: كيف يصحّ ذلك، ومنهم مَن غلب وقتل؟

وجوابنا: انّ النّصرة ربّما تعتبر فيها العاقبة فمن عاقبته محمودة، فهو منصور على من غلبه وعاقبته ذميمة، فالنّصرة أبدًا تكون للمطيعين خصوصًا، ولهم نصرة بالحجّة والادلّة وغيرهما.

[المسألة التّاسعة]

---

[1] سورة الصَّافَّات، الآية .

[2] سورة الصَّافَّات، الآية .

[3] سورة الصَّافَّات، الآية .

[4] سورة الصَّافَّات، الآية .

وربّما قيل فيما تقدّم من قصّة يونس –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿وَأَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1] كيف يصحّ ذلك وظاهره الشكّ في هذا العدد وفي الزّيادة؟

وجوابنا: انّ المراد به ويزيدون أو بل يزيدون على ما روى عن المفسّرين، وقد يجوز أن يزيد في منظر عيون من يشاهدهم من دونه ما الله –تعالى– يعلم عددهم مفصّلاً.

[1] سورة الصَّافَّات، الآية .

سورة ص

سورة ص

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ﴾[1]: إنّ في هذه الآيات مطاعن منها تسورهم عليه، وهم خصمان كيف يصحّ؟ ومنها أنّه جمع بقوله تسوّروا وثنّى بقوله: خصمان وبقوله: ﴿إِنَّ هذا أَخِي﴾[2] وبقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾[3]؛ ومنها أنّ في الخبر ان ذلك ورد في قصة اوريا ورغبة داود في امرأة أوريا، وأنّه –عليه السّلام– عرضه للقتل رغبة فيها؛ إلى غير ذلك ممّا يذكره الجهّال.

وجوابنا: انّ الصّحيح إن كانت تلك المرأة التي رغب فيها قد صارت أيّما بلا زوج فخطبها وكان من قبل ذلك خطبها غيره فسكنت اليه ولم يفتّش عن ذلك، فصار ذلك ذنبًا صغيرًا.

وعلى هذا الوجه نهى –صلّى الله عليه وسلّم– أن يخطب المرء على خطبة أخيه، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ﴾[4] فنبه بذلك على ما ذكرناه[5].

والذي يرويه من لا معرفة له بأحوال الانبياء –صلّى الله عليهم وسلم– لا معتبر به فالله –تعالى– لا يبعث إلا من هو منزّه عن هذه المعاصي حتّى انّهم لا يقدمون لا على كبيرة ولا على صغيرة يعرفونها قبيحة، وإنّما عاتبه الله –تعالى– ونبّهه من حيث صار غافلا عن خطبة متقدّمة كان يمكنه أن يفتّش عنها، فلا يقدم على الخطبة بعد تلك الخطبة.

فأمّا التّسوّر فإنّه غير قبيح من الملائكة في زمن الانبياء ليكون ما يؤدونه أقرب الى التحريك والتنبيه.

---

[1] سورة صَ، الآية .

[2] سورة صَ، الآية .

[3] سورة صَ، الآية .

[4] سورة صَ، الآية .

[5] سورة صَ، الآية .

وأمّا التّثنية والجمع، فيجوز في اللّغة في هذا المكان، فانّ قوله: خصمان يدلّ على اثنين، وقد يذكر ذلك ويراد أكثر بأن يكون مع المتداعيين غيرهما وإنّما وصفا بذلك من حيث تصوّرا بصورة الخصميْن كيما ينبّها داود –عليه السّلام–.

[المسألة الثّانية]

فإن قيل: كيف قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ﴾[1]، ولم يعلم صحّة ما ادّعى؟

وجوابنا: أنّه لا بدّ من أن يكون في الكلام حذف، فكأنّه قال: إن كنت صادقًا فقد ظلمك، وإلاّ فالمعلوم أنّه لا ظالم هناك.

وقوله –تعالى–: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ﴾[2] يدلّ على ان ذنب داود ليس إلاّ ما قلناه من أنّه رغب في ضم هذه المخطوبة إلى نسائه على الوجه الذي ذكرناه.

وقوله –تعالى–: ﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ﴾[3] من بعد يدلّ على أنّ الذي فعله كان في تلك الشّريعة محرّمًا.

ولولا ذلك لجوزناه حلالاً.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[4] أنّ ذلك يدلّ على أن تصرّفه من خلق الله.

وجوابنا: أنّه إنّما يدلّ على فوض إليه هذه الأمور فأمّا ما يأتيه من تصرفه فهو فعله. ولذلك صار مؤاخذًا بذلك الصّغير الذي فعله على غفلة، ولذلك صحّ قوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ

---

[1] سورة صَ، الآية .

[2] سورة صَ، الآية .

[3] سورة صَ، الآية .

[4] سورة صَ، الآية .

النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى﴾[1]، لانّه إن كان ما يحكم به من خلق الله، فكيف يضاف ذلك الى الهوى؟! وكيف يقول –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾[2]؟!

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ﴾[3]: كيف يصحّ ان يعزل عن النّبوّة ويصير على كرسيه بعض الشّياطين على ما يروى في ذلك؟

وجوابنا: ان الذي يروى في ذلك كذب عظيم والصحيح ما روي من أنه تفكر في كثرة نسائه ومماليكه فقال، وقد آتاه الله من القوة: إنّي لأطؤهن في ليلة واحدة فيحملن ويحصل لي من الأولاد العدد الكثير، ففعل ولم تحبل إلّا واحدة وألقت جسدًا غير كامل الخلقة، فحمل ذلك الجسد إلى كرسيّه، فنبّهه عنده على انّ الذي فعله من التّمنّي كالذنب وانه قد كان من حقّه أن ينقطع إلى الله –تعالى– فيما يرزق من الأولاد قلّ أو كثر، فأناب عند ذلك وتاب ممّا كان منه.

فأمّا أن يعزل ويؤخذ خاتم ملكه ويصير الى بعض الشياطين ويطأ ذلك الشيطان نساءه فذلك مما لا يجوز على الأنبياء وقد رفع الله قدرهم عن ذلك.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[4]: كيف يصحّ من الأنبياء أن يسألوا ذلك مع دلالته على الرّغبة في الدّنيا، وعلى ما يجري مجرى المنافرة والحسد؟

---

[1] سورة صَ، الآية .

[2] سورة صَ، الآية .

[3] سورة صَ، الآية .

[4] سورة صَ، الآية .

وجوابنا انه لا يمتنع وهو نبيّ ان يرغب الى الله –عز وجل– فيما يظهر به فضله وكرامته عند الله وليس في ذلك ما يشبه الحسد المذموم لانه انما يكون حاسدا اذا أراد انتقال نعيم غيره اليه.

فأمّا إذا أراد لنفسه أعظم المنازل من الله –تعالى– ابتدا مع إرادته بقاء سائر النعم على أهلها، فلا وجه ينكر في ذلك. ولذلك قال –تعالى–: ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ﴾[1] الى سائر ما ذكر ممّا يدلّ على انّه أجابه وأظهر فضله بهذه الأمور التي اختصّ بها.

ثمّ ذكر –تعالى– من بعد قصة أيوب –صلّى الله عليه وسلّم–، وانّه سأل الله –عزّ وجلّ– كشف الضرّ عنه، فأجابه الله الى ذلك وزاده.

فالذي يرويه الجهال في قصّته من كيفيّة البلاء إلى غير ذلك لا يصح والذي يصحّ انّه –تعالى– انزل به الأمراض والعلل والفقر والحاجة لما علم من المصلحة ثمّ أزال ذلك عنه بالنّعم التي أفاضها عليه على ما نطق به الكتاب.

فأمّا قوله –تعالى– في قصّة ايّوب –صلّى الله عليه وسلّم–: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾[2] يدلّ على أنّه يحسن الاحتيال في التّخلّص من الايمان وغيرها، وقد ذكر ذلك الفقهاء في كتبهم.

---

[1] سورة صَ، الآية .

[2] سورة صَ، الآية .

سورة الزمر

سورة الزمر

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1]: أليس قد نفى أنّه يهدي الكافر وأنتم تقولون قد هداه كما هدى المؤمن؟

وجوابنا: أنّ المراد لا يهديه الى الثّواب في الآخرة، وقد تقدّم ذكر ذلك.

[المسألة الثّانية]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾[2]: أليس ظاهر ذلك أنّه خلق زوجها بعد أن خلقنا، فكيف يصحّ ذلك؟

وجوابنا: أنّ ثمّ قد تدخل في خبر مستأنف، فلا يوجب التّرتيب في نفس المخبر عنه، كقوله الرّجل لغيره قد عجبت ممّا فعلت اليوم ثمّ ما صنعته أمس أعجب.

وقوله من بعد: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾[3]، المراد به من كل جنس زوجين ذكرا وأنثى فهي وإن كانت أربعة أجناس إذا قدر فيها ما ذكرنا صارت ثمانية.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾[4] يدلّ على أنّه إنّما يكلّفنا لمنافعنا وحاجتنا ويدل على انّه –تعالى– لا يريد المعاصي، لانّ الرّضا يرجع في المعنى الى الارادة فلو كان مريدا للكفر كما قاله القوم لوجب اذا وقع ان يكون راضيًا به، لأنّ المُريد لا يصحّ أن يريد من غيره أمرًا، فيقع ذلك الأمر على ما أراده إلاّ ويجب أن يكون راضيًا به.

---

[1] سورة الزُّمر، الآية .

[2] سورة الزُّمر، الآية .

[3] سورة الزُّمر، الآية .

[4] سورة الزُّمر، الآية .

وقوله –تعالى– من قبل: ﴿لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾[1] ذكره –تعالى– لا على وجه أن ذلك ممّا يصحّ ان يراد لكن على وجه الاحالة بين به ان القادر على أن يخلق ما يشاء لا يجوز أن يتخذ ولدا.

فعلى هذا الوجه ذكر ذلك.

[المسألة الثّالثة]

وقوله –تعالى–: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ﴾[2] ربّما سألوا فيه وقالوا كيف أنزلها؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– خلقها في السّماء، ثمّ انزلها إلى الأرض، كما خلق آدم في السّماء، ثمّ اهبطه إلى الأرض.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل: ما معنى قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾[3]، والمعلوم انّه خلق واحد؟

وجوابنا: انّ المراد خلق ما تتغيّر به النّطفة، فتكون علقة الى ان يستقرّ الخلق التّامّ؛ فهذا هو المراد.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[4] يدلّ على انّ احدًا لا يؤخذ بذنب غيره، فيبطل بذلك قولهم انّ الطّفل يعذّب بكفر أبيه.

[المسألة الخامسة]

---

[1] سورة الزُّمر، الآية .

[2] سورة الزُّمر، الآية .

[3] سورة الزُّمر، الآية .

[4] سورة الزُّمر، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى-: ﴿قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]: كيف يصحّ ان يكون أوّل المسلمين، وقد تقدّمه من المسلمين ما لا يحصى عدده؟

وجوابنا: انّ المراد وأمرت أن اكون أوّل المسلمين من قومي وذلك معقول من الكلام.

وفي قوله –تعالى-: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً﴾[2] دلالة على انّ الاعمال لا يستحقّ بها الثّواب الاّ على هذا الوجه.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3] يدلّ على انّ النّبوّة لا تمنع من هذا الخوف، فكيف يمنع منه ان يكون المرء من أولاد الانبياء كما يقوله بعض العامّة من الاماميّة، حتّى يزعمون أنّ مَن ولد من فاطمة –رضي الله عنها– قد حرّم الله – تعالى– النار عليه؟!

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾[4] هو على وجه الزّجر والتّهديد لا انّه أمر في الحقيقة.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[5] يدلّ على ان الوعيد الوارد عن الله –تعالى– واجب لا يجوز خلافه واذا لم يجز أن ينقذ الرسول من النار، فكيف يصحّ ما يقوله القوم من انّه –صلّى الله عليه وسلّم– بشفاعته يخرج الكثير من أهل النّار؟!

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة الزُّمُر، الآية .

[2] سورة الزُّمُر، الآية .

[3] سورة الزُّمُر، الآية .

[4] سورة الزُّمُر، الآية .

[5] سورة الزُّمُر، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾[1] انّه يدلّ على أنّ الاسلام من قبله –تعالى–.

وجوابنا: انّ شرح الصّدر بالاسلام غير الاسلام، فلا يدلّ على ما قالوه.

وانّما المراد بذلك: أنّه –تعالى– يورد عليه من الطّاقة ما يدعوه الى الثبات على الاسلام كما ذكرنا في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾[2].

وقوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[3]، وهو القرآن، فيدلّ على انّه محدث من حيث أنزله ومن حيث سماه حديثا ومن حيث وصفه بانه متشابه وما هو قديم لا يصح ذلك فيه.

وقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[4] يدلّ أيضًا على حدوثه. وقوله: ﴿ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾[5] يدلّ أيضًا على ذلك.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾[6]، المراد: مَن يضلّل الله عن طريق الجنّة الى النّار كما قدمناه من قبل.

وقوله: ﴿قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[7] يدلّ على حدوثه وعلى انه حدث بعد لغة العرب، ليصح أن يوصف بانّه عربيّ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾[8] لا يدلّ على ما قالوه، لانّ المراد: ومَن يضلّل عن طريق الجنّة الى النّار فما له من هاد اليها ومن يهده الى الجنّة فما له مضل على ما تقدم ذكره.

وقوله من بعد: ﴿فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾[9] يدلّ على ما قدمنا ذكره من ان الاهتداء يضاف الى الله –تعالى– دون الضلال وان كانا جميعًا من فعل العبد.

---

1 سورة الزُّمُر، الآية .
2 سورة الزُّمُر، الآية .
3 سورة الزُّمُر، الآية .
4 سورة الزُّمُر، الآية .
5 سورة الزُّمُر، الآية .
6 سورة الزُّمُر، الآية .
7 سورة الزُّمُر، الآية .
8 سورة الزُّمُر، الآية .
9 سورة الزُّمُر، الآية .

[المسألة السّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[1] أنّه يدلّ على أنّه لا مؤمن إلّا ويغفر له الله –تعالى–، وإن ارتكب الكبائر.

وجوابنا ان المراد انه يغفر ذلك بالتّوبة بدلالة قوله: ﴿وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ﴾[2] والآية في الكفّار وردت، فلا شبهة في أنّهم من أهل النّار.

ويدلّ على ذلك قوله: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[3].

وقوله من بعد: ﴿بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾[4].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾[5] ممّا روى فيه عن الحسن البصري: أنّه قال: ما ورد ذلك إلاّ فيمن كذب على الله بأن أضاف الكفر اليه وزعم أن خلقه وأراده، وكذلك سائر المعاصي.

وقوله من بعد: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6] يدلّ على أن المتقين في الآخرة لا ينالهم من أهوالها كما يظنّه بعض مَن خالفنا في ذلك.

وقوله من بعد: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[7] قد تقدّم معنى الاضافة، وأنّ المراد به الأجسام التي قدّرها الله –تعالى– الى سائر ما يتّصل بها دون أفعال العباد.

---

1 سورة الزُّمر، الآية .
2 سورة الزُّمر، الآية .
3 سورة الزُّمر، الآية .
4 سورة الزُّمر، الآية .
5 سورة الزُّمر، الآية .
6 سورة الزُّمر، الآية .
7 سورة الزُّمر، الآية .

وإذا كان الله –تعالى– تمدّح بانه خالق كلّ شيء، فكيف يدخل فيه الكفر والكذب والفواحش مع أن خلق ذلك الى الذمّ أقرب؟!

وقوله –تعالى–: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ﴾[1] أحد ما يدلّ على قولنا، لأنّه –تعالى– لو كان خالقنا للكفر فيهم، لكانت الحجّة لهم بأن يقولوا: وماذا ينفع مجيء الرّسل إلينا مع ان الله –تعالى– خلق الكفر فينا وأراده وقضاه وقدره؟!

---

[1] سورة الزُّمَر، الآية .

سورة غَافِرٍ

سورة غافر

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] كيف يصح ذلك وقد يجادل فيها المؤمنون؟

وجوابنا: أنّ المُراد المجادلة الباطلة في آيات الله، ولذلك ذمّهم بذلك، فهو كقوله: ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[2].

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[3]: كيف يصحّ مع عظم العرش، وأنّه لا خلق أعظم منه أن يكونوا حاملين له؛ ولئن جاز ذلك، فما الذي يمكن في نفس الأرض أن تحمله الملائكة؟

وجوابنا: أنّ العرش في السماء في أنه مكان لعبادة الملائكة كالبيت الحرام في الأرض.

ولذلك قال –تعالى–: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[4] حواليه ولا يمتنع مع ذلك أن يكونوا حاملين له اذا كان الله تعالى قد عظم خلقتهم وقواهم على ذلك. إمّا في كلّ حال، وإمّا في بعض الأحوال.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة غَافِر، الآية .

[2] سورة غَافِر، الآية .

[3] سورة غَافِر، الآية .

[4] سورة غَافِر، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾[1]: أنّ ذلك يدلّ على انّ السيّئات ليست من فعلهم.

وجوابنا: ان هذه المسألة من الملائكة لاهل الآخرة فالمراد بذلك انّ يقيهم جزاء السيّئات، وهو العقاب وإلاّ فنفس السيّئات من فعلهم في دار الدّنيا وليست الآخرة ممّا يقع تكليف، فتقع هذه المسألة من الملائكة للمؤمنين.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[2] ولو لم يصح عذاب القبر لكانت الأماتة مرة واحدة.

وقولهم ﴿فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾[3] يدلّ على انّ الذّنوب من قبلهم ولو كانت من خلق الله –تعالى– فيهم لكانوا بدلاً من اعترافهم يقولون ما ذنبنا اذا خلقت فينا ولم يمكننا أن ننفك منه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾[4] فالمراد به ما يرفعه من درجات غيره فليس للشبهة بذلك تعلق.

[المسألة الرّابعة]

وربما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5]: كيف يصحّ ان يقول ذلك، وقد أفنى الخلق على ما يروى في الأخبار ولا يكون فيه فائدة، وإن كان يقوله –تعالى– وقد أعاد الخلق، فما الفائدة فيه، وقد عرفوا في الآخرة أنّ الملك لله الواحد القهّار؟

---

[1] سورة غَافِر، الآية .

[2] سورة غَافِر، الآية .

[3] سورة غَافِر، الآية .

[4] سورة غَافِر، الآية .

[5] سورة غَافِر، الآية .

وجوابنا: أنّه –تعالى– يقوله وقد أعاد منبها بذلك على انّه لا حكم في الآخرة إلاّ له ولا ملك إلاّ له، وأنّ الآخرة مخالفة للدّنيا؛ فإنّها، وإن كان الملك فيها لله، لكنّه قد فوّض إلى الغير النظر في ذلك وما يرى من أنه –تعالى– يقوله ولا أحد ولا يصحّ، بل القرآن يشهد بخلافه، وهو قوله –تعالى–: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ﴾[1] ثمّ قال –تعالى–: ﴿لا يَخْفى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2] فانّما يقول ذلك في ذلك اليوم. ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[3].

والمعروف للمكلّفين من أهل الثواب والعقاب: أنّ الواقع بهم هو المستحقّ، وأنّه لا ظلم هناك، وأنّه بخلاف أيّام الدّنيا التي يجري فيها الظّلْم وغيره.

وقوله –تعالى–: ﴿لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[4] يدلّ على أنّ العبد هو الذي يفعل المعصية.

ولو كان –تعالى– يخلقها فيه ثمّ يعذّبه أبد الآبدين، لكان ذلك ظلما ويدل أيضًا على ان أطفال المشركين لا يعذبون لانهم لو عذبوا ولا ذنب لهم، لكان العقاب من أعظم الظّلم.

وقوله –تعالى–: ﴿فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾[5] يدلّ على أنّه –تعالى– ليس بجسم وإلا كان يجب في محاسبة الخلق أن تطول كما يطول ذلك منّا فإنّما يكون سريع الحساب بأن يفعل المحاسبة في أجسام وأن يكون الكلّ في حال واحد.

وقوله –تعالى–: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾[6] [...][7].

---

1 سورة غَافِر، الآية .
2 سورة غَافِر، الآية .
3 سورة غَافِر، الآية .
4 سورة غَافِر، الآية .
5 سورة غَافِر، الآية .
6 سورة غَافِر، الآية .
7 سورة غَافِر، الآية .

ثمّ قال –تعالى– من بعد: ﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ﴾[1] يدلّ على أنّ الشّفاعة لا تكون الاّ للمؤمنين، فتزيدهم منزلة على وجه التفضل. ولو كانت الشّفاعة لاهل الكبائر المصرّين لم يصح هذا الظّاهر.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾[2] يدلّ على أنّ الذي لأجله حسن منه أن يعاقبهم أنّ الرّسل جاءتهم بالبيّنات، ومع ذلك اختاروا الكفر ولو كان تعالى خلق ذلك فيهم لكان مجيء مرسل اليهم وأن لا يجيئوا اليهم سواء.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾[3]: كيف يصحّ ان يكون كاتما لإيمانه، مع أنّه حكى عنه: ﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ﴾[4]، ثمّ قال: ﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾[5]، ولو كان مظهرًا لإيمانه لم يزد على ذلك؟

وجوابنا: أنّه يحتمل في الاول أن يكون كاتما لإيمانه ثمّ من بعد لما جربهم وسلم منهم أظهره وذلك لا يسْتحيل ويحْتمل أن يكون معرضا بتلك اللّغة، وحكى الله عنه على حسب مراده، فيكون بالعربيّة تصريحًا، وإن كان بتلك اللّغة تعريضًا.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة غَافِر، الآية .

[2] سورة غَافِر، الآية .

[3] سورة غَافِر، الآية .

[4] سورة غَافِر، الآية .

[5] سورة غَافِر، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك منهم مع علمهم بأنّه لا يخفّف البتّة؟

وجوابنا: أنّ مثل ذلك لا يقع من الممتحن على وجه الاستعانة بالغير والاسترواح إلى هذا القول، وإن علم أنّ ذلك لا يتمّ.

وقد قيل: إنّ ذلك يحسن في الآخرة لقوله –تعالى–: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها﴾[2].

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك، وإنّما كان هذا القتل في حال ولادة موسى لا في هذه الحال؟

وجوابنا: أنّه في تلك الحال كان يأمر بقتل الاولاد لمّا ظهر في الاخبار أنّه سيكون هناك من يغلبه من الانبياء. وفي هذه الحال أمر أيضًا بهذا القتل لئلا يكثر أتباع موسى فهما حالان مختلفان.

فأمّا قوله –تعالى– من بعد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾[4]، وقوله –تعالى–: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا﴾[5] يدلّ على أنّ الايمان فعل للعبد، وأنّه إذا فعله طوعًا ينتفع به.

وإذا فعله على وجه الالجاء لا ينتفع به، ولو كان خلقًا لله لم يصحّ ذلك.

---

[1] سورة غَافِر، الآية .

[2] سورة غَافِر، الآية .

[3] سورة غَافِر، الآية .

[4] سورة غَافِر، الآية .

[5] سورة غَافِر، الآية .

سورة فصلت

سورة حم فصّلت

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك مع التّكليف؟

وجوابنا: ان ذلك حكاية تشددهم في الامتناع من القبول لا انّهم بهذا الوصف، ولذلك ذمّهم وزجرهم بقوله –تعالى–: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ﴾[2].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[3] يدلّ على أنّ القرآن محدث من جهات.

وقوله –تعالى–: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾[4] يدلّ على انّ كفرهم لا يمنع من وجوب الصّلاة والزّكاة عليهم، وإن كان فعلهم إنّما يصح بأن يقدموا الايمان.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[5]، ثمّ قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[6]، فتلك ستّة.

---

1 سورة فُصِّلَت، الآية .

2 سورة فُصِّلَت، الآية .

3 سورة فُصِّلَت، الآية .

4 سورة فُصِّلَت، الآية .

5 سورة فُصِّلَت، الآية .

ثمّ قال: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1]، فصارت ثمانية، كيف يصحّ ذلك مع قوله –تعالى– في غير موضع: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2]، وتلك مناقضة ظاهرة؟

وجوابنا أنّ قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[3]، المراد به مع اليومين المتقدّمين، فلا يكون ذلك مخالفًا للآيات الأخر، وقد يقول المرء لولده: أليس علمتك القرآن في سنة وفقّهتك في الدّين في سنتين؟ يعني: مع التي تقدّمت.

فأمّا قوله –تعالى– من بعد: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ﴾[4]، فالمُراد به قصد خلق السّماء، فالاستواء في الحقيقة لا يصحّ على الله –تعالى–.

وقوله –تعالى–: ﴿فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[5]، فالمُراد أنّه أراد منهما الانقياد لما يريده، فاسْتجابا.

وذلك كقوله –تعالى–: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6]، والمُراد أن تكون، وقد يقول القائل: أردت كذا وكذا، فقالت: نفسي لا تفْعل، وقد يقال: أتت السّحاب، فأمْطرت.

قال الشّاعر:

امتلأ الحوض وقال قطنـــــــي

وذلك كقوله –تعالى–: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[7] وكلّ ذلك ظاهر في اللّغة، وإنّما يلتبس على من يقل تأمّله.

---

6 سورة فُصِّلَت، الآية .

1 سورة فُصِّلَت، الآية .

2 سورة فُصِّلَت، الآية .

3 سورة فُصِّلَت، الآية .

4 سورة فُصِّلَت، الآية .

5 سورة فُصِّلَت، الآية .

6 سورة فُصِّلَت، الآية .

7 سورة فُصِّلَت، الآية .

وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾[1] يدلّ على انّه –تعالى– قد هداهم بأن دلّهم وبين لهم وأنهم لما لم يقبلوا لم يهتدوا فالاهتداء فعلهم والهدى من قبَل الله –تعالى– لا كما يقول من خالفنا في ذلك وزعم ان الهدى هو الإيمان.

وقوله –تعالى–: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾[2]، فالمُراد به: الرّدع عن المعاصي، لأنّه إذا فعلها بهذه الجوارح شهدت عليه في الآخرة، وقد ذكرنا من قبَل أنّ هذه الشّهادة من فعل الله –تعالى– فيها.

وقوله –تعالى–: ﴿قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3]، فالمراد به: ما ذكرنا من أنّه فعل فيها ما صورته صورة الشهادة.

وقوله –تعالى–: ﴿وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾[4]، فالمراد به: ما كنتم تظنّون ذلك. ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ﴾ فالمراد به التخلية فلما لم يمنعهم من ذلك جاز أن ينسبه الى نفسه. وذلك كقوله –تعالى–: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[6]، وكقول القائل لغيره قد أرسلت كلبك على الناس إذا لم يطرده عن بابه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾[7] يدلّ على أنّه لا بدّ مع التّوحيد من الاستقامة في الأفعال والأحوال، حتّى يصير المرء من أهل الثّواب.

---

1 سورة فُصِّلَت، الآية .
2 سورة فُصِّلَت، الآية .
3 سورة فُصِّلَت، الآية .
4 سورة فُصِّلَت، الآية .
5 سورة فُصِّلَت، الآية .
6 سورة فُصِّلَت، الآية .
7 سورة فُصِّلَت، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً﴾[1] يدلّ على أنّ من أعظم الأعمال الدعاء، ويدلّ على أنّه إذا لم يقترن به العمل الصّالح لم ينتفع به.

[المسألة الثّالثة]

فان قيل: فقد قال: ﴿وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وانتم تمنعون ذلك؟

وجوابنا: أنّ المُراد من المنقادين للحقّ، وذلك أوْجب عندنا.

وقوله من بعد: ﴿وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا﴾[3] يدلّ على أنّه –تعالى– فعله، فجعله عربيًّا، وكان يجوز أن تجعله أعجميًّا.

---

[1] سورة فُصِّلَت، الآية .

[2] سورة فُصِّلَت، الآية .

[3] سورة فُصِّلَت، الآية .

سورة الشورى

سورة الشّورى

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك مع قوله –تعالى–: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]؟

وجوابنا: انّ المراد ويستغفرون لاهل الارض الذين هم المؤمنون لا لأهل السّماء، لأنّ أهل الأرض هم المحتاجون الى الاسْتغْفار.

ويحتمل أن يكون المراد ويستغفرون لأهل الأرض لإزالة عذاب الاستئصال عنهم.

والأول أقوى، لأنّ إحدى الآيتين يجب أن تبنى على الاخرى كما يبنى المجمل على المفسّر.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]، وهو يوم القيامة: كيف يصحّ ان ينذر يوم القيامة والتّكليف منْقطع؟

وجوابنا: أنّ المراد ينذرهم ما يلقون يوم الجمع وهم يخافون، فحال الإنْذار هو حال التّكليف.

ولذلك قال –تعالى–: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[4]، فبيّن وجه التّخْويف في ذلك.

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية .

[4] سورة الشُّورَى، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾[1]، المُراد: أن يلجئهم إلى الإيمان، لكنّه لم يشأ إلاّ على وجه الاختيار تعريضًا للمثوبة.

[المسألة الثّالثة]

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] ربّما قالوا فيه أنّ ظاهره يتناقض، لانّه يقتضى ان لمثله مثلا ولو كان كذلك لما صح النّفي لانّه يقتضى الاثبات.

وجوابنا: انّ ذلك وإن كان مجازا فهو مؤكد للحقيقة على ما جرت به عادة العرب، وهو أوكد من قول القائل ليس مثله شيء.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾[3]، فالمراد به أنه شرع لكل الانبياء أن يقيموا الدين فيما يتصل بالاعتقاد والتوحيد لان ذلك مما لا يقع بينهم فيه خلاف.

فأمّا الشّرائع المخْتلفة فلكل منهم دين وما هو دين أحدهم بمنزلة ما هو دين غيره لأنه دين لهم مضاف اليهم ولذلك قال بعده: ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[4]، فنبّه بذلك على ما ذكرنا.

وقوله: ﴿اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[5]، المراد به ويهدي الى رضوانه وثوابه من ينيب، فلا تعلّق للمخالفين بذلك.

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية .

[4] سورة الشُّورَى، الآية .

[5] سورة الشُّورَى، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿وَما تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[1] ربّما سألوا فيه وقالوا كيف يؤدي علمهم إلى التّفرّق؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– أراد بالعلم البيان، وأنّهم تفرّقوا بعد البيان وبعد قيام الحجّة.

ويحتمل أن يكون المُراد: تفرقوا بعد العلم على وجه البغي، كما ذكره –تعالى–، والمراد المبطلون دون المحقّون.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ﴾[2] كيف يصح أن لا يكون له عليهم حجّة؟

وجوابنا: انّ المراد إنا قد بالغنا في إقامة الحجة حتى لم تبق باقية فلا حجة بيننا وبينكم وهذا على وجه التوبيخ وإلا فمعلوم من دين الرسول –صلّى الله عليه وسلم– أنه كان لا يعذر القوم بل له الحجة العظيمة عليهم ولذلك قال بعده: ﴿اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[3].

وقال –تعالى– بعده فيمن يحاج في الله من المبطلين: ﴿حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[4] ولا يجوز ذلك الا وحجة المحقين ثابتة.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزانَ﴾[5]: كيف يصحّ القول بأنّه أنزل الميزان، وهو أمر يتولّى فعله النّاس؟

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية .

[4] سورة الشُّورَى، الآية .

[5] سورة الشُّورَى، الآية .

وجوابنا: انّ المراد أنّه انزل الكتاب بالحق وانزل التّمسّك بالميزان في باب المعاملات وقد قيل انّه في الابتداء أنزله الله –تعالى–، وعرّفهم كيف يتعاملون.

وقد قيل: انّ المراد بالميزان: العدل نفسه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[1] أحد ما يرغب في التّوبة ويخوف من تركها، وذلك لطف عظيم للمكلّفين.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل كيف يصحّ قوله: ﴿وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[2]، ومعلوم انّ فيمن يريد حرث الدنيا من له نصيب في الآخرة.

وجوابنا: انّ المراد من كانت إرادته مقصورة على حرث الدّنيا، لأنّ من هذا سبيله لا نصيب له في الآخرة وبين –تعالى– أنّه لا يبخل عليه بما أراده من أمر الدّنيا، وان كانت هذه حاله.

وقوله من بعد: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ﴾[3] أحد ما يدلّ على أن مَن لم يتب من الظّلمة سيعاقب لا محالة.

ثمّ ذكر –تعالى– من بعد رحْمته، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾[4].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[5] يدلّ على انّه لا يفعل إلاّ ما يبعث على الطاعة والعبادة، فلذلك قال: ﴿وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾[6].

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية .

[4] سورة الشُّورَى، الآية .

[5] سورة الشُّورَى، الآية .

[6] سورة الشُّورَى، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[1]، فالمراد به الجزاء على السيّئة، وذلك مجاز مشهور في اللغة.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[2] والمراد بذلك من عفا عن السيّئة، ولم يقابل بمثلها ولا كافأ عليها.

ولذلك قال بعده: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[3]، فبيّن أنّه إذا انتصر، وقد ظلم، فلا سبيل عليه، ولو كان ما فعله سيئة لمَا صحّ ذلك.

ولذلك قال بعده: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[4].

وبعث –تعالى– على الصّبر، فقال ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[5].

وقوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾[6]، المُراد: مَن يضلّله بالعقوبة وبالصّرف عن الثّواب، فلا وليّ له، لأنّه لا ناصر له، وهذه حاله.

ولذلك قال بعده: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾[7]. فيتمنّون الرّجعة لكي يؤمنوا، وعند ذلك بيّن الله –عزّ وجلّ– أنّ المؤمنين يقولون: ﴿إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[8]، اذا عاينوا ما أنزل بهؤلاء الظّالمين. ولذلك قال بعده: ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ وَما كانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[9].

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .
[2] سورة الشُّورَى، الآية .
[3] سورة الشُّورَى، الآية .
[4] سورة الشُّورَى، الآية .
[5] سورة الشُّورَى، الآية .
[6] سورة الشُّورَى، الآية .
[7] سورة الشُّورَى، الآية .
[8] سورة الشُّورَى، الآية .
[9] سورة الشُّورَى، الآية .

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[1] أحد ما يذكر في انّ الرّؤية على الله –تعالى– لا تجوز، وإلاّ فقد كان أصحّ انّه يكلّم البشر على غير هذه الوجوه.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قالوا في ذلك: ما معنى قوله: ﴿إِلاَّ وَحْياً﴾؟ وهل معناه غير ما ذكر في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾؟ وما معنى: ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾، والحجاب على الله –تعالى– لا يجوز؟

وجوابنا:

– عن الاوّل: أن المراد على وجه الخاطر والالهام، وقد يوصف ذلك بأنّه وحي من الله.

– وعن الثّاني: بأن الحجاب في نفس الكلام يصح وان كان على الله –تعالى– لا يصحّ.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ﴾[2] أحد ما يدلّ على أنّه من قبل النبوة لم يكن مكلّفًا بشريعة إبراهيم ولا غيره ولا كان يعرف الايمان.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾[3]: المراد به من يكلفهم دون غيرهم، فلا يدلّ على أنّه –تعالى– هدى بعض المكلّفين دون بعض.

ولذلك قال بعده: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]، ومعلوم أنّه هدى كلّ المكلّفين.

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية .

[4] سورة الشُّورَى، الآية .

سورة الزخرف

سورة الزّخرف

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا﴾[1]: كيف يصحّ في القرآن ذلك، وإنّما أنزله على الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–؟

وجوابنا: انّ المراد انّه كتبه في اللّوح المحفوظ على الوجه الذي تعرفه الملائكة، ثمّ حصل الانزال الى السّماء الدّنيا في ليلة مباركة كما ذكره –تعالى–، ثمّ حصل الانزال حالا بعد حال بحسب الحاجة إلى الأحكام والقصص، وفي كلّ ذلك مصلحة.

فأمّا في الأوّل، فالملائكة يعرفون به ما يدعوهم إلى طاعته ويعرفون به أنّه من عالم الغيْب، لأنّه –تعالى– ذكر عند إثبات القرآن في اللّوح المحفوظ ما سيكون من حاله وحال الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من المصالح المعروفة، فلا تناقض في ذلك.

وقوله –تعالى– من قبل: ﴿إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾[2] أحد ما يدلّ على حدوثه من وجوه، وقد بيّنها من قبل.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك، وفي الانبياء مَن قبلوا منه وعظّموه؟

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[2] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[3] سورة الزُّخْرُف، الآية .

وجوابنا: انّ المراد بذلك من دخل تحت قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنا﴾[1]، وذلك لا يعم جميع المرسلين. ولذلك قال بعده: ﴿فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾[2].

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ﴾[3]: كيف يصحّ بعد ذكر الانعام ان يقول على ظهوره، ولا يقول على ظهورها؟

وجوابنا: انّ ذلك يرجع الى لفظة ما، فقد يصحّ ان يفرد ما يرجع اليه، كما يصحّ ان يجمع.

وهذا كما نقوله في لفظة من أنّها تارة يجمع ما يرجع اليها وتارة يوحّد.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا﴾[4] دلالة على ما يلزم العبد من الشكر عند كل نعمة دقت أو جلت.

ثمّ قبّح –تعالى– ما قاله بعض العرب من أنّ الملائكة بنات الله –تعالى–، وبيّن أنّ ضربهم المثل لله –تعالى– بما يعدونه نقصًا من عجائب كفْرهم، فقال: ﴿وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[5].

وبيّن بقوله: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾[6] أنّ كلّ قول لا علم معه بصحّته يصير وبالاً.

وقوله من بعد: ﴿وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ﴾[7] يدلّ على انّه –تعالى– لا يشاء عبادة غيره.

---

1 سورة الزُّخْرُف، الآية .
2 سورة الزُّخْرُف، الآية .
3 سورة الزُّخْرُف، الآية .
4 سورة الزُّخْرُف، الآية .
5 سورة الزُّخْرُف، الآية .
6 سورة الزُّخْرُف، الآية .
7 سورة الزُّخْرُف، الآية .

ولولا ذلك لمَا قال: ﴿ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[1]، وقبّح التّقليد بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[2]، ثمّ قال: ﴿وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[3].

وقال بعد ذلك:[4] ﴿قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ﴾[5]. وهذا هو الذي يبطل التّقليد ويعلم أنّ الواجب اتّباع الهدى والدلالة.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾[6] أحد ما يدلّ على أنّه –تعالى– لا يخلق الكفر ولا يدعو إليه، لأنّه إن كان هو الخالق له، فلا فائدة في هذا. وانّما يكون له فائدة إذا كان الكلام مع المختار للكفر. فعند هذا الضّرب من النعم يختار ما لولاها كان لا يختاره.

ثمّ بيّن –تعالى– أنّ كلّ ذلك متاع الدّنيا، وأنّ الآخرة عند الله للمتّقين.

والاتقاء معناه أن لا يتّخذوا زخرفًا في الدّنيا من المعصية، فيترك المعصية ويتقّي النّار. وذلك لا يصحّ إلاّ وهم المختارون لذلك.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[7]: كيف يصحّ ان يكون –تعالى– يمنع من اتّباع الشّيطان ويقيّضه للعبد؟

وجوابنا: أنّ المراد من يعش عن ذكر الرحمن في الدنيا نقيض له شيطانًا في الآخرة، فيصير قرينه كما ذكره الله –تعالى– في غير موضع.

---

1 سورة الزُّخْرُف، الآية .
2 سورة الزُّخْرُف، الآية .
3 سورة الزُّخْرُف، الآية .
4 سورة الزُّخْرُف، الآية .
5 سورة الزُّخْرُف، الآية .
6 سورة الزُّخْرُف، الآية .
7 سورة الزُّخْرُف، الآية .

ولولا هذا التّأويل لحملناه على معنى التّخلية، كما تأولنا عليه قوله –تعالى–: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]. ولذلك قال بعد: ﴿حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[2]. ولذلك قال بعده: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾[3].

وكلّ ذلك يبيّن صحّة ما تأوّلنا.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[4]: ما فائدة هذا الكلام؟ وكيف ينتفعون بالاشتراك في العقاب؟

وجوابنا: أنّ المُراد أنّ كلّ ممتحن في دار الدّنيا إذا انفرد بالمحنة تكون محنته أثقل وأعظم وأغلظ منها إذا كان له شركاء فيها، فبيّن الله –تعالى– أنّ هذا القدر من الرّوح والخفّة لا يحصل في الآخرة لأهل العذاب إذا اشتركوا فيه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾[5] أحد ما يدلّ على أنّه –تعالى– يذكر مثل هذا الوصف فيمن يمتنع من الإصغاء والقبول على ما تأولناه من قبل.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾[6]: كيف يصحّ أن يصفوه بأنّه ساحر ويسألوه أن يدعو ربه وذلك متناقض؟

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[2] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[3] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[4] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[5] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[6] سورة الزُّخْرُف، الآية .

وجوابنا: أنّ المُراد أنّهم قالوا بحسب اعتقادهم، وقالوا: إن لم تكن كذلك على ما نعتقده، فادْع لنا ربك.

وقد قيل: إنّ هذه اللّفظة تستعمل في اللغة فيمن يعتقد فيه التّقدّم في معرفة الأمور.

فعلى هذا الوجه قالوا: ومعنى قوله –تعالى–: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾[1]: أغضبونا؛ فالأسف في الحقيقة لا يجوز إلاّ على من يجوز عليه الحزن والغمّ.

وقد قيل إنّ المُراد: آسفوا رسلنا.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[2]: كيف يصحّ أن يجعل من النّاس ملائكة؟

وجوابنا: أنّ المُراد بقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾[3] ليس ما ذكرته، بل المُراد: ان ينزل الملائكة بحيث يرون في جملتهم، فيكونون منهم بين الله –تعالى– بذلك أنّ عيسى، وإن فارق حاله في كونه لا من أب حالهم، فليس ذلك ببعيد عند الله –تعالى–؛ كما لا يبعد أن يجعل مع النّاس ملائكة، والله –تعالى– أنشأهم بلا ولادة.

[المسألة الثّامنة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها﴾[4]: ما المراد بذلك؟

وجوابنا: أنّه قد ظهر في الأخبار نزول عيسى –عليه السّلام– عند الساعة، وأنّ الله –تعالى– جعله دلالة للساعة.

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[2] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[3] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[4] سورة الزُّخْرُف، الآية .

فلذلك قال –تعالى–: ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِها﴾[1]، لأنّ العلم والدّلالة تمنعان من المريّة.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[2] يدلّ على أنّهم في الآخرة بخلاف ما هم في الدّنيا. ففي الدّنيا يحبّ بعضهم بعضًا، وفي الآخرة يغلّظ الله قلب بعضهم على بعض، ويكون ذلك زائدًا في غمومهم.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[3] يدلّ على انّ المتّقين لا تلحقهم أهوال الآخرة.

وتعلّق بعضهم في انّ الله –تعالى– يرى، لجهله بقوله –تعالى–: ﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، وزعم أنّ من أعظم لذّات العين: رؤية الله –تعالى–.

وهذا جهل عظيم، لأنّ الواجب ان يثبت أوّلاً أنّه يرى، ثمّ يقول ذلك كما لو قال قائل إنّه داخل تحت قوله –تعالى–: ﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾[4] بالمعانقة والملامسة، لكان إنّما يبطل بأن يُقال: يجب أن تثبت أوّلاً أنّه جسم يصحّ ذلك عليه، ثمّ تقول هذا القول.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾[5] يدلّ على أنّ غير الكفّار من المجرمين هذا وصْفهم.

[المسألة التّاسعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[6]: كيف يصحّ أن يكتبوا السرّ وهم لا يعلمونه؟

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[2] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[3] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[4] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[5] سورة الزُّخْرُف، الآية .
[6] سورة الزُّخْرُف، الآية .

وجوابنا: أنّه –تعالى– يعرف الحفظة ما يفعله العبد بأمور من قبله، فتكتبه إذا كان ذلك ممّا لا يشاهد.

فهذا الوجه وجْه الكلام.

[المسألة العاشرة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ﴾[1]: كيف يصحّ أن يكون أوّل عابد لمَن له ولد؟

وجوابنا: انّ المُراد: فأنا أوّل الآنفين من عبادة من هذا حاله.

وقد ذُكر عن الفرزدق أنّه قال:

واعبد أن يهجي كليب بدارم

وأراد به الآنفة.

ويحتمل أن يريد بذلك: تبعيد أن يكون له ولد، لأنّ عبادته له تمنع من ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ﴾[2] يدلّ على أنّه يجوز عليه المكان، وأنه يدبّر الاماكن؛ ولو كان على العرش كما قالوا، لم يصحّ ذلك.

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية .

[2] سورة الزُّخْرُف، الآية .

سورة الدُّخَان

سورة الدخان

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾[1] كيف يصحّ ذلك، وإنّما أنزله في المدّة الطّويلة حالاً بعد حال؟

وجوابنا: أنّه أنزله الى السّماء الدّنيا في ليلة مباركة على ما تقدّم ذكره.

ولذلك قال: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2]، لأنّه –تعالى– أمر في تلك اللّيلة بأنّ الملائكة ينزلون القرآن حالاً بعد حال بحسب الحاجة إليه والمصلحة.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾[3]: ما المُراد بذلك، وكيف يُرتقَب ما لا يوجد في الدّنيا؟

وجوابنا: أنّه يحتمل ان يريد: فارْتقب ذلك للكفار والعصاة على وجه الرّدع لهم؛ ويحتمل أن يكون هذا الدّخان أحد المعجزات، كما روي عن ابن مسْعود في انشقاق القمر.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾[4]، المُراد به امتحناهم وكلفناهم، وليس المُراد أنّا خلقنا الكفر فيهم كما يزعمه بعضهم؛ ولذلك قال –تعالى–: ﴿وَجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾[5].

---

[1] سورة الدُّخَان، الآية .

[2] سورة الدُّخَان، الآية .

[3] سورة الدُّخَان، الآية .

[4] سورة الدُّخَان، الآية .

[5] سورة الدُّخَان، الآية .

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ﴾[1] كيف يصحّ أن يخوف –تعالى– بشجرة الزّقوم، وهي لا تعرف؟

وجوابنا: أنّه إذا وصف حالها صح التخويف بها ولذلك قال –تعالى–: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[2].

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[3] المراد به: ذق العذاب إنّك أنت الموْصوف بذلك في الدّنيا.

ولذلك قال –تعالى– بعده: ﴿إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾[4].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولى﴾[5]: كيف يصح استثناء الموتة الاولى من حالهم في الجنّة؟

وجوابنا: أنّ المراد توكيد نفي الموت عنهم بذكر ما عرفوه من الموتة الاولى، فالمراد سوى الموتة الاولى التي عرفوها.

---

1 سورة الدُّخَان، الآية .

2 سورة الدُّخَان، الآية .

3 سورة الدُّخَان، الآية .

4 سورة الدُّخَان، الآية .

5 سورة الدُّخَان، الآية .

سورة الجَاثِيَة

سورة الجاثية

[المسألة الأولى]

إنّ الله –جلّ وعزّ– جمع بقوله –تعالى–: ﴿إِنَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] بيّن كلّ الأدلّة على الله –تعالى–، لأنّها إمّا بالنّظر في الأجسام، فيعلم أنّها محدثة من حيث لا تنفكّ عن المحدثات، ويعلم أنّ فاعلها مخالف لها، وإمّا بالنّظر في أنفسنا بتجدّد أحوالها على من برأها، وإمّا بالنظر في سائر الدّوابّ والحيوان، فيعلم بتغيّر أحوالها المدبّر لها.

ولا دليل على الله –تعالى– إلاّ وقد دخل تحت ما ذكرناه، ولكنّه –تعالى– أراد ذلك أيضًا بذكر اختلاف اللّيل والنّهار، وما أنزل الله من السّماء من رزق وتصريف الرّياح.

ثمّ قال في آخره: ﴿تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآياتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، فبيّن أن العدول عنها الى سائر الاحاديث ترك لما يجب من النّظر.

ثمّ قال –تعالى–: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3] وتوعد على ترك هذه الطريقة فقال –تعالى–: ﴿يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾[4].

وكلّ ذلك بعث من الله –تعالى– على النظر والتذكر في هذه الأدلّة، وفي هذه النّعم ليقوم بشكرها.

ثمّ قال من بعد محققا لما ذكرنا: ﴿هذا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[5]، فأشار الى ما تقدم من الأدلّة وبيّن أنّها هدى، ولولا أنّها هدى للكافرين لما توعدهم بالعذاب إذا عدلوا عنها، ثمّ أتبعه بقوله –تعالى–: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا

---

[1] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[2] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[3] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[4] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[5] سورة الجَاثِيَة، الآية .

لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾[1] نبّه بذلك على أنّ الغفران يكون من قبلهم إذا تمسكوا من طاعة الله بما يوجب الغفران.

ثمّ قال –تعالى–: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2]، فنبّه بذلك على انّ أمر الآخرة موقوف على هذيْن فمن عمل صالحًا فله الجنّة؛ ومَن أساء، فهو من أهل النّار.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[3]: كيف يصحّ أن ينهاه عمّا تمنع النّبوّة منه؟

وجوابنا: انّ النّبوّة لا تمنع من القدرة على ذلك والتّمكّن منه، وإنّما لا يختاره؛ فالنّهي عن ذلك يصحّ ويكون أحد ما يدعو النّبيّ إلى ترك ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً﴾[4] يدلّ على ان الوعيد لاحق بهم وانهم من أهل العذاب، لانّهم لو صاروا من أهل الجنّة، لكان –تعالى– قد سوى بينهم.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ﴾[5]: كيف يصحّ اتّخاذ الهوى إلهًا؟

وجوابنا: أنّه يطيع الهوى ويعدل عن طريقة العقل، وذلك تشبيه يحسن في اللّغة.

---

[1] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[2] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[3] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[4] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[5] سورة الجَاثِيَة، الآية .

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾[1] أنّه أضلّه عن الثّواب الى العقاب.

ومعنى قوله –تعالى–: ﴿وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً﴾[2] ما قدّمناه من العلامة التي يفعلها الله –تعالى–، وقد تقدّم القول في ذلك.

وقوله من بعد: ﴿هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] من أقوى الصّوارف عن المعاصي، فانّها اذا تفرّقت على الاوقات، ثمّ جمعت في الصّحيفة عظمت على مَن عرضت عليه.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللهِ﴾[4] ﴿هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾[5] يدلّ على أنّ الأعراض عن الآيات من أعظم الذنوب، وكذلك الاغترار بالدّنيا.

---

[1] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[2] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[3] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[4] سورة الجَاثِيَة، الآية .

[5] سورة الجَاثِيَة، الآية .

سورة الأَحْقَاف

سورة الأحقاف

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾[1]: كيف يصحّ ان يقول –صلّى الله عليه وسلم– ذلك، وهو كلام شاكّ في أمره وأمرهم؟

وجوابنا: أنّ المراد ما أدري ما يفعل بي ولا بكم فيما يوحى إليّ، فبيّن أن الوحي يأتي في المستقبل بما لا يعلمه في الوقت.

وقال –تعالى– بعده: ﴿وَما أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[2] فبيّن انه بعد نزول الوحي ينذر ويحذر.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى﴾[3]، يعني القرآن، يدلّ على حدوثه، لانّ ما تقدّمه غيره لا يكون الاّ محدثا؛ وكذلك قوله –تعالى–: ﴿وَهذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا﴾[4] يدلّ على ذلك.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5] يدلّ على أن من هذا حاله لا تؤثر فيه أهوال الآخرة.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[6]، يعني: من جزاء ما عملوا، لانّهم يتفاضلون في ذلك؛ وكذلك قوله: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾[7]، أي جزاء أعمالهم.

---

1 سورة الأَحْقَاف، الآية .

2 سورة الأَحْقَاف، الآية .

3 سورة الأَحْقَاف، الآية .

4 سورة الأَحْقَاف، الآية .

5 سورة الأَحْقَاف، الآية .

6 سورة الأَحْقَاف، الآية .

7 سورة الأَحْقَاف، الآية .

وقوله في الكفّار: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1] يدلّ على أنّهم استحقوا العذاب لاستكبارهم وفسقهم على ما نقوله في ذلك.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[2]: أليس ذلك يدلّ على أنّه خلق حضورهم؟

وجوابنا: انّ قول القائل صرفت الى فلانا فلانا، يريد: انّه فعل ما عنده حضر من الأسباب، وليس المراد أنّه فعل نفس حضوره.

ولذلك قال –تعالى–: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا﴾[3] فأضاف الحضور إليهم وفي الآية دلالة على أنّ في الجنّ مَن آمن بالرّسول، وعلى أنّهم مكلفون وفيهم مؤمن وكافر، وعلى أنّهم من أمّة محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، وأنّه –صلّى الله عليه وسلّم– دعاهم كما دعا الانس، فلذلك قالوا في وصف القرآن: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[4].

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[5] أنّ ذلك يدلّ على أنّ في الرّسل مَن هو أولي العزم، وفيهم مَن ليس كذلك، وأنتم تنكرون هذا القول.

---

[1] سورة الأَحْقَاف، الآية .

[2] سورة الأَحْقَاف، الآية .

[3] سورة الأَحْقَاف، الآية .

[4] سورة الأَحْقَاف، الآية .

[5] سورة الأَحْقَاف، الآية .

وجوابنا: أن مثل ذلك قد يذكر ويراد به الكلّ، فالمُراد بقوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾[1] تمييز أولي العزم من غيرهم دون التّبعيض، فلا يدلّ على ما ذكروه.

[1] سورة الأَحْقَاف ، الآية .

سورة مُحَمَّد

صلّى الله عليه وسلّم

سورة محمد
-صلى الله عليه وسلم-

[المسألة الأولى]

وربّما قيل: كيف قال –تعالى–: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾[1]، ومعلوم أنّهم في بعض حروبهم نصروا الله بأن جاهدوا، ومع ذلك فلم ينصرهم، ولم يثبّت أقدامهم؟

وجوابنا: أنّه لم يرد بقوله إن تنصروا الله بالاستقامة على الطاعة ينصركم في الدنيا، إذ يحتمل انّه يريد ان ينصركم في الآخرة ويثبت أقدامكم على الثواب لان ذلك نصرة لهم فيجري مجرى قوله: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[2]، فكأنه قال: إن تنصروا الله يجازيكم على النصرة.

ويحتمل أنّه يريد أنّ الغلبة لكم على كلّ حال، وإن غلبتم في الظّاهر، لأنّ المغلوب إذا كان مستحقًّا للثّواب، فهو المنصور؛ والغالب اذا كان من أهل العقاب، فهو مخذول غير منصور.

[المسألة الثّانية]

فإن قيل: فقد قال –تعالى– بعده: ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنهُمْ﴾[3]، وكيف يصحّ ذلك مع الوعد لهم بالنّصرة؟

وجوابنا: أنّ المراد لانتصر منهم بالاهلاك، لكنّه –تعالى– يمْهلهم.

---

1 سورة مُحَمَّد، الآية .

2 سورة مُحَمَّد، الآية .

3 سورة مُحَمَّد، الآية .

[المسألة الثّالثة]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ﴾[1]: كيف يجوز أن ينفى كونه مولى الكافرين وهو مولاهم وخالقهم ورازقهم؟

وجوابنا: أنّ المُراد بأنّه مولى المؤمنين أنّه المتولّي لحفظهم ونصرتهم في باب الدّين، وذلك منفيّ عن الكافرين.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قالوا: إنّ قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ﴾ الى قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ﴾: كيف يصحّ اتّصال هذا الكلام بما تقدمه، وانّما يحسن ذلك إذا قيل، أفمن هو في الجنّة كمَن هو في النّار؟

وجوابنا: انّ معناه: أفمن كان في الجنّة التي مثلها هذا المثل ووصفها هذا الوصف كمن هو في النّار، وفي الكلام حذف لمَا فيه الدّلالة على ذلك.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ﴾[2]: كيف يصحّ أن يقول ذلك لنبيّه –صلّى الله عليه وسلم– وعلمه به متقدّم مستقرّ؟

وجوابنا: أنّ المراد التّبات على هذا العلم في المسْتقبل.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة مُحَمَّد، الآية .

[2] سورة مُحَمَّد، الآية .

فإن قيل: فكيف قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[1]، وهو مغفور له؟

وجوابنا: أن يجتهد في التّوبة من ذنبه لعظم منزلته، لأنّ حال الانبياء فيما يقدمون عليه أعظم من حال غيرهم.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ﴾[2]: كيف يصحّ أن يملي لهم، والاملاء هو الابقاء، ولا يصحّ أن يكون إبقاؤهم من قبله، بل هو من قبله –تعالى–؟

وجوابنا: أنّ ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾[3]، المراد به: زيّن لهم المعاصي.

والمُراد بقوله: ﴿أُمْلِي لَهُمْ﴾[4] أنّه غرّهم بأن بسط لهم في الآمال وغلب في قلبهم أنّهم يبقون فيتلافون.

وفي السّورة أدلّة على مذهبنا:

منها قوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ﴾[5].

فإنّ ذلك يدلّ على انّ الهدى قد يكون إلى الثّواب، لأنّه بعد القتل لا يصحّ سواه، وهو معنى قوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ﴾[6]، أي طيبها لهم.

وقوله: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ﴾[7] يدلّ على أنّ الضّلال قد يكون إلاّ هلاك. ولذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾[8].

---

1 سورة مُحَمَّد، الآية .
2 سورة مُحَمَّد، الآية .
3 سورة مُحَمَّد، الآية .
4 سورة مُحَمَّد، الآية .
5 سورة مُحَمَّد، الآية .
6 سورة مُحَمَّد، الآية .
7 سورة مُحَمَّد، الآية .
8 سورة مُحَمَّد، الآية .

ومنها قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً﴾[1]، فإنّه يدلّ على أنّ الألطاف والأدلّة والخواطر التي ترد على المؤمن توصف بأنّها هدى، وأنّ للمؤمنين من الحظّ في ذلك ما ليس لغيرهم.

ومنها قوله –تعالى–: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[2]، فانّه يدلّ على وجوب النّظر وعلى انّ التّدبّر فعلهم.

فأمّا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغانَهُمْ﴾[3]، فالمراد بالمرض ليس هو الكفر، بل هو ما لحقهم بظهور أمر الرسول –صلّى الله عليه وسلم– من الغموم؟

ومنها قوله: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ﴾[4]، فذلك يدلّ على انّ المكلّف قد يبطل ثواب ما تقدّم من عمله بالكبائر والكفر، لأنّ ابطال نفس العمل لا يصحّ، فالمراد به: جزاء العمل.

فأمّا قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾[5]، فالمُراد به: حتّى يقع الجهاد، وقد ذكر العلم وأراد المعلوم، لأنّ علم الله –تعالى– لا يتجدّد –تعالى عن ذلك– .

---

[1] سورة مُحَمَّد، الآية .

[2] سورة مُحَمَّد، الآية .

[3] سورة مُحَمَّد، الآية .

[4] سورة مُحَمَّد، الآية .

[5] سورة مُحَمَّد، الآية .

سورة الفتح

سورة الفتح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللهُ﴾[1] كيف يصح أن يستثنى في خبر بشّر الرّسول به، وما فائدة ذلك؟

وجوابنا: أنّه كان مع الرّسول –صلّى الله عليه وسلم– من المعلوم أنّه يموت، فلا يقع منه الدّخول، فلذلك استثنى.

وقد قيل ان الاستثناء متعلّق بالأمن، فكأنّه قال: لتدخلنّ المسجد الحرام وأنتم آمنون إن شاء الله، لأنّ الأمن في داخل المسجد الحرام قد يتغيّر.

وقد قيل: الفائدة أنّه علّمنا كيف نخبر عن الأمور، وأن نستثني في ذلك.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله من قبل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾[2]: كيف يجوز فيما لم يقع من الذّنب المتأخّر أن يغفره؟

وجوابنا: أنّ المُراد: ما تقدّم من ذنبك قبل النّبوّة وما تأخّر عنها، وكلاهما ممّا يقع، فيصحّ فيه الغفران.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الفَتْح، الآية .

[2] سورة الفَتْح، الآية .

فإن قيل: فما تعلّق الغفران بالفتح حتّى يقول –تعالى–: ﴿فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله﴾[1]؟

وجوابنا: أنّه لا يمتنع في الفتح أن يكون سببًا في طاعات عظيمة مستقبلة تؤثّر في غفران الذّنب.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2]: ما الفائدة في هذا الكلام؟

وجوابنا: أنّ المُراد أنّه أقوى منهم وأقدر. وفي ذلك زجر لهم عن نكْث البيعة.

فأمّا مَن يزعم أنّ لله –تعالى– يدًا تبعًا لهذا الظّاهر فقد أبعد، لأنّه يلزمه إثبات يد فوق أيدي النّاس وفوق لا يستعمل إلاّ على وجه لم يجوزه أحد.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ﴾[3]: أنّ ذلك توجب أنّه لا حرج عليه في شيء.

وجوابنا: أنّه لا حرج عليه ولا على المريض، والأعرج في بعض العبادات كالجهاد وغيره.

وهذا معقول من الكلام.

[المسألة السّادسة]

---

[1] سورة الفَتْح، الآية .

[2] سورة الفَتْح، الآية .

[3] سورة الفَتْح، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى– ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾[1]: أليس ذلك يدلّ على أنّه –تعالى– خلق فيهم ذلك الكفّ؟

وجوابنا: أنّه لا يُقال: إنّ فلانًا كفّ فلانًا عن كيت وكيت إلاّ بأن يبعثه على الكفّ ويسبّب له ذلك، فهذا هو المراد.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ﴾[2]: ما المُراد بهذه الرّؤيا؟

وجوابنا: انّه –صلّى الله عليه وسلم– رأى كأنّ قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ﴾[3]، فحكاها الله –تعالى– كما رآها.

فهذا معنى الكلام: نبّه بذلك على أنّ في الرّؤيا ما يصدق، وما يكون خاطرًا من قبل الله –تعالى–.

---

[1] سورة الفَتْح، الآية .

[2] سورة الفَتْح، الآية .

[3] سورة الفَتْح، الآية .

سورة الحُجُرَات

سورة الحُجُرات

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]: كيف يصحّ أن تنسب إلى أحدنا محبّة ذلك مع كونه كارهًا؟ وكيف يجوز تشبيه ذلك بأكل لحم أخيه ميّتًا؟

وجوابنا: أنّ قوله –تعالى–: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾[2] نفي للمحبّة لا إثبات لها، فكأنّه قال كما لا يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتًا، فكذلك حال الغيبة يجب أن يكرهها ككراهة أكل لحم الميّت.

فأمّا هذا التّشبيه، فمن أحسن ما يضرب به المثل، وذلك لانّ المرء نافر النّفس عن أكل لحم أخيه الميّت لقبحه، فبيّن الله –تعالى– أنّ غيبته تجري في القبح، وفي أنّه يجب ان ينفر عنها هذا المجرى.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾[3]: أفليس قد ميّز بين الايمان والاسلام؟

وجوابنا: أنّ الإسلام في اللّغة هو الاستسلام والانقياد، وذلك ليس بإسلام في الدّين على الحقيقة. ولذلك قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[4].

ومَن يكون مسلمًا في الحقيقة، فقد دخل الإيمان قلبه.

---

1 سورة الحُجُرَات، الآية .

2 سورة الحُجُرَات، الآية .

3 سورة الحُجُرَات، الآية .

4 سورة الحُجُرَات، الآية .

ولذلك قال بعده: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1]، فبيّن –تعالى– أنّ الاعراب لم يكونوا كذلك، بل كذبوا في قولهم آمنّا.

وفي السورة أدلّة على ما نقول:

– منها قوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ﴾[2]، فبيّن به أنّ رفع الصّوت بحضور الرّسول يحبط سائر طاعتهم، حتّى يصيروا كأنّهم لم يفعلوها.

– ومنها قوله: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ﴾[3]، فدلّ بذلك على انّ الفعل لا يحسن إلاّ مع المعرفة دون أن يتبع في ذلك الفعل قول قائل مع الشكّ.

– ومنها قوله: ﴿وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ﴾[4]، فدلّ بذلك على أنّ في الفسوق ما ليس بكفر وفي العصيان ما ليس بفسق، ولولا ذلك لم نميّز بين الثّلاثة.

– ومنها: ما نجعله أصلاً في النّهي عن المنكر، وهو قوله: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما﴾[5]، فأمر بالاصلاح أوّلاً.

ثمّ قال: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾[6]، فأمر بالقتال ثانيًا ونبّه بالطّرفيْن اللّذيْن هما الإصلاح والقتال على ما بيّنهما من الوسائط.

[المسألة الرّابعة]

فان قيل: فقد سمّى الطّائفتين مؤمنين، وعندكم أنّهما إذا اقتتلا لم يصحّ ذلك فيهما؟

---

[1] سورة الحُجُرَات، الآية .

[2] سورة الحُجُرَات، الآية .

[3] سورة الحُجُرَات، الآية .

[4] سورة الحُجُرَات، الآية .

[5] سورة الحُجُرَات، الآية .

[6] سورة الحُجُرَات، الآية .

فجوابنا: أنّه أثبتهما مؤمنين قبل البغْي والقتال، لأنّ قوله: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[1]، معناه: اختاروا المقاتلة في المستقبل.

– ومنها: قوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ﴾[2]، فدلّ بذلك على أنّ الفسق يخرج فاعله من أن يكون مؤمنًا.

– ومنها: قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ﴾[3]، لأنّ ذلك يدلّ على أنّ الايمان من نعمة الله –تعالى– من حيث ألطف لنا وسهّل سبيلنا إلى فعله.

---

[1] سورة الحُجُرَات، الآية .

[2] سورة الحُجُرَات، الآية .

[3] سورة الحُجُرَات، الآية .

سورة ق

سورة قَ

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[1]: أنّ قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ﴾[2] قسم، فكيف يصحّ أن يقسم بالقرآن وليس هناك شيء مقسم عليه؟

وجوابنا: أنّ المقسم عليه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا﴾[3] وما بعده، فأكّد هذا الخبر بالقسم على عادة العرب، ونبّه بذلك على ما يكون ردعًا عن المعاصي من حيث لا يعرفون طريق الاحتراز، ومن حيث يعلم ما يأتون ويذرون.

وحكي عن الحسن أنّ المُراد: تأخير القسم، فكأنّه قال: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾[4]، والقرآن يؤكّد بذلك ما تعجّبوا منه.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَقالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾[5]: كيف ثنّى ذلك، والأمر هو لواحد؟

وجوابنا: أنّ في النّار خزنة ولهم عدد، فلا يمتنع أن يكون خطابًا للاثنيْن، وأن يكون كما جعل على المكلّف في الدّنيا رقيبيْن، فكذلك في الآخرة يوكل به ملكيْن من الخزنة.

وقد قيل: إنّ الواحد قد يعبر عنه بالتّثنية ويكون ذلك كالتّوكيد، كأنّه قال: ألق ألق، كما يؤكّد المرء أمر غيره بأن يقول: اضرب اضرب.

---

[1] سورة قَ، الآية .

[2] سورة قَ، الآية .

[3] سورة قَ، الآية .

[4] سورة قَ، الآية .

[5] سورة قَ، الآية .

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ﴾[1]: كيف يقول ذلك وقد أطغاه، والكذب في الآخرة لا يقع؟

وجوابنا: أنّ المُراد: ما أكرهته على الطّغيان ولا ألجأته إليه، لكنّه اختار ذلك كقوله –تعالى–: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ﴾[2].

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[3]: كيف يصحّ مخاطبتها وهي جماد؟

وجوابنا: في ذلك انّ المراد نقول لخزنة جهنّم، وهذا كقوله وأسأل القرية.

ويحتمل أن يكون المراد استجابة جهنّم لما يريده الله من حصول أهلها فيها كقوله –تعالى–: ﴿قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[4]، والله –تعالى– قد أخبرنا، فقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[5]، فبيّن انّه سينتهي الحال إلى أن يملأها بعد المحاسبة.

[المسألة الخامسة]

وربّما قيل: ما معنى قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[6] وكلّ المكلّفين لهم قلب؟

---

[1] سورة قَ، الآية .

[2] سورة قَ، الآية .

[3] سورة قَ، الآية .

[4] سورة قَ، الآية .

[5] سورة قَ، الآية .

[6] سورة قَ، الآية .

وجوابنا: أنّ المُراد لمَن كان مستعملاً قلبه في التّفكّر والتّدبّر، فإنّ فيهم مَن ليس هذا سبيله.

[المسألة السّادسة]

وربّما قالوا في قوله –تعالى–: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] ما معنى ذلك؟

وجوابنا: أنّ المراد المعرفة وأنّها قويّة في الآخرة، فالشّبهة زائلة فشبّهت في القوّة بالحديد، لأنّ معرفتهم في الآخرة ضرورية، وإلاّ فالقوم ينظرون من طرف خفيّ.

وفي السّورة أدلّة على ما نقول:

– منها قوله –تعالى–: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾[2].

ولو كان الكافر ممّن لم يعط قدرة الايمان وخلق الكفر فيه، لكانت الحجّة له، فكان لا يجوز أن يُقال له ذلك.

– ومنها قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[3]، لأنّ ذلك يدلّ على أنّ ما توعد الله به لا يتخلّف.

– ومنها قوله –تعالى–: ﴿وَما أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[4]، لأنّه يدلّ على أنّهم قد فعلوا ما استوجبوا به العقاب.

ولولا ذلك لكان كلّ العقاب من باب الظلم والعبث من حيث خلق فيهم ما عاقبهم لاجله ومن حيث خلقهم للكفر ومن حيث خلقهم للنّار؛ فلو ابتدأهم بها، لكان أقرب من أن يستدرجهم إليها.

– ومنها قوله –تعالى–: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[5]، فذلك إنّما يصحّ إذا كانت الخشية تصرفه عن الفعل؛ ولو كان مخلوقًا فيه، لمَا صحّ ذلك.

---

[1] سورة قَ، الآية .

[2] سورة قَ، الآية .

[3] سورة قَ، الآية .

[4] سورة قَ، الآية .

[5] سورة قَ، الآية .

وقوله –تعالى–: ﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَلَدَيْنا مَزِيدٌ﴾[1] يدلّ على انّه –تعالى– يضمّ الى ثوابهم التّفضّل ولا نمنع من أن يكون ذلك عند شفاعة الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–، فليس لمَن خالفنا في الشّفاعة أن يتعلّق بذلك.

وقوله في آخر السّورة: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾[2] يحقّق ما نقوله في الوعيد، وبيّن أنّ ذلك يصرف عن المعاصي. فلذلك أمر الله –جل وعزّ– نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– أن يذكرهم به.

ولو كان ذلك خلقًا فيهم من جهة الله –تعالى– لمَا صحّ ذلك.

---

[1] سورة قَ، الآية .

[2] سورة قَ، الآية .

سورة الذَّارِيَات

سورة الذّاريات

[المسألة الأولى]

وربّما قالوا: كيف أقسم بالذّاريات التي هي الرّياح وبغيرها؟

وجوابنا: أنّه –تعالى– قد بيّن مراده بقوله –تعالى–: ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، وبقوله –تعالى–: ﴿فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[2] وبين الرّسول حيث قال مَن كان حالفًا، فليحلف بالله، فيجب إذًا أن يكون المُراد بكلّ ذلك وربّ الذّاريات وربّ الطّور وربّ القرآن.

وهذا أحد ما يدلّ على انّ القرآن من جملة أفعاله، وأنّ الله –تعالى– ربّه، ومعنى ربّ الذّاريات أنّه المالك ولا يجوز ان يملك إلاّ ما يفعله ويقدر عليه، فجميع ما أقسم الله –تعالى– به في أوائل السّور يجب أن يحمل على هذا الوجه لكن مع ذلك فيه فائدة، وهي تعريف العباد إنعامه بما ذكر كقوله –تعالى–: ﴿وَالْفَجْرِ﴾[3]، وكقوله: ﴿وَالضُّحى﴾[4]، وكقوله –تعالى–: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[5] الى غير ذلك.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل: لماذا قال –تعالى– ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾[6]، ومعلوم مَن رزقنا أنّه في الأرض.

---

[1] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[2] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[3] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[4] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[5] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[6] سورة الذَّارِيَات، الآية .

وجوابنا أنّ المراد ما هو الأصل لأرزاقنا، وهو الماء النّازل من السّماء، ولولاه لمَا حصل ما نأكل ونشرب ونلبس إلى غير ذلك.

وقوله –تعالى–: ﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] يدلّ على أنّ الإيمان والإسلام واحد، وإلّا كان لا يكون لمَن نفى من المسلمين تعلّق بمَن أخرج من المؤمنين.

[المسألة الثّالثة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾[2]: أليس ذلك يدلّ على جواز الجوارح على الله –تعالى–؟

وجوابنا: انّ المُراد به القوّة والقدرة؛ ولولا ذلك لوجب إثبات أيدي كثيرة له –تعالى– عن ذلك.

[المسألة الرّابعة]

وربّما قيل: ما معنى قوله –تعالى–: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ﴾، وفي الاشياء ما لا زوج له كالجمادات وغيرها؟

وجوابنا: أنّه لا شيء الاّ وقد خلق الله –تعالى– ما يخالفه بعض المخالفة ليدلّ بذلك على قدرته ولتتكامل به نعمته.

وهذا كالذّكر والأنثى، وكما نعلمه في الثّمار والفواكه وكاللّيل والنّهار وكالحجر الصّلب والرّخو من الاشياء.

وذلك تنبيه من الله –تعالى– على عظم قدرته وانعامه، فلذلك قال –تعالى–: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

---

[1] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[2] سورة الذَّارِيَات، الآية .

[3] سورة الذَّارِيَات، الآية .

فأمّا قوله –تعالى–: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾[1]، فلا يدلّ على أنّه –تعالى– في مكان، بل المراد الفرار إلى طاعته وعبادته والتّخلّص من عقابه، فلذلك قال –تعالى–: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[2].

فأمّا قوله –جلّ وعزّ–: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، فدلالة على أنّه –تعالى– أراد من جميعهم عبادته، وأنّه خلقهم لذلك لا كما يقوله المخالف من أنّه أراد من المؤمنين الايمان ومن الكافرين الكفر، وأنّه خلق بعضهم للنّار وبعضهم للجنّة.

وقد بيّنّا أنّ قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[4] لا يعارض ذلك، لانّ المراد ذرأناهم للعبادة، لكن مصيرهم الى جهنّم من حيث لم يختاروها.

فهذه اللام لام العاقبة، كقوله –عزّ وجلّ–: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[5].

وقوله من بعد: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[6]، فالمُراد به وصفه بالاقتدار على الأمور، لا أنّ المراد إثبات قوّة له –تعالى الله عن الحاجة علوًّا كبيرًا–.

ولو كان المُراد ظاهره، لوجب مع قوّته أن يوصف بالمتانة التي هي الصّلابة، وذلك من صفات الأجسام.

---

1 سورة الذَّارِيَات، الآية .

2 سورة الذَّارِيَات، الآية .

3 سورة الذَّارِيَات، الآية .

4 سورة الذَّارِيَات، الآية .

5 سورة الذَّارِيَات، الآية .

6 سورة الذَّارِيَات، الآية .

سورة الطُّور

سورة الطّور

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾[1]: أنّ ذلك يدلّ على انّ لله علينا كما يقوله بعض المشبّهة.

وجوابنا: أنّه إن دلّ على ذلك دلّ على عيون وليس أقلّه بأن يدلّ أولى من أكثره، وليس ذلك قولاً لأحد.

فالمُراد به: أنّك بمرأى منّا ومسمع، وإنّا نعلم تعيين أحوالك وذكرها –تعالى– ليبعثه على التّشدّد في الابلاغ والصّبر على كلّ عارض دونه.

[المسألة الثّانية]

وربّما تعلّق بعض المجْبرة بقوله –تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2]، وزعموا أن ذلك يدل على أن الايمان من فعل الله.

وجوابنا: ان المراد من يبلغ من الذرية ويؤمن، فبيّن –تعالى– أنّه لأجل مشاركتهم لهم في الايمان ألحقهم بهم.

وبيّن ذلك قوله: ﴿وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[3]، والعامل لا يكون الاّ مكلّفًا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾[4] يدلّ على أنّ أحدًا لا يؤخذ بكسب غيره، فيبطل قول مَن خالفنا وزعم أنّ أطفال المشركين يؤخذون بذنب آبائهم.

---

[1] سورة الطُّور، الآية .

[2] سورة الطُّور، الآية .

[3] سورة الطُّور، الآية .

[4] سورة الطُّور، الآية .

سورة النَّجْم

سورة النّجم

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾[1]: أنّ ذلك يدلّ على أنّه –صلّى الله عليه وسلّم– رأى ربه مرّة بعد أخرى.

وجوابنا: أنّ المُراد بذلك: جبرائيل –عليه السّلام–، لأنّه المذكور من قبْل بقوله –تعالى–: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى﴾[2]. ثمّ قال بعد ذلك: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾[3]، فأثبته رائيًا له. ثمّ قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾[4]، فأثبته رائيًا له ثانيًا، وأراد رؤيته له على صورته التي هو عليها، فقد كان ينزل على غير صورته في سائر الحالات.

وبيّن ما قلناه: قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[5]، وذلك لا يليق إلاّ بجبرائيل –عليه السّلام–.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[6] يدلّ على أنّه يغفر إلمام الانسان بصغائر المعاصي إذا اجتنبت الكبائر.

وقوله –تعالى–: ﴿وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[7] فيه دلالة على أنّ أحدًا لا يؤخذ بذنب غيره.

[المسألة الثّانية]

---

1 سورة النَّجْم، الآية .

2 سورة النَّجْم، الآية .

3 سورة النَّجْم، الآية .

4 سورة النَّجْم، الآية .

5 سورة النَّجْم، الآية .

6 سورة النَّجْم، الآية .

7 سورة النَّجْم، الآية .

وربّما قالوا: إنّ قوله –تعالى–: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[1] يدلّ على أنّ أفعالنا مخلوقة لله –تعالى–.

وجوابنا: أنّ ذلك إن دلّ، فانّما يدلّ على أنّه فعل الضّحك والبكاء، ولا عموم فيهما، فإنّ فعلهما –تعالى– باثنين، ثمّ الظّاهر؛ فمن أين أنّ كلّ ضحك وبكاء من فعل الله –تعالى–؟!

[المسألة الثّالثة]

فإن قيل: فما قولكم في الضّحك أهو من فعل العبد أو من فعل الله، وقد يتعذّر على المرء ترك الضّحك، فكيف يكون من فعله؟

وجوابنا: أنّ الضّحك هو التّفتّح المخصوص الذي يظهر في الوجه، وذلك يكون من فعل العبد ولا حال يضحك فيها إلاّ ويجوز أن يتركه، لأنّه لو خوّف من الضّحك لتركه.

فأمّا الابكاء، فهو من فعله –تعالى–، لأنّه إنزال ما يدفع صفة الوجه، فحقيقته أنّه –تعالى– تعالى هو الذي يبكي العبد، وإن كان العبد قد يتسبّب في ذلك.

وقد قيل: إنّ المُراد بقوله: ﴿أَضْحَكَ﴾[2]: أنّه أنعم على أهل الثّواب بالجنّة والثّواب، ﴿وَأَبْكَى﴾[3] انّه عاقب أهل النّار.

واستدلّوا على ذلك بقوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[4]، وذلك لا يليق إلّا بأمر الآخر،ة فشبّه ما ينالهم من النّعيم والسّرور بالضّحك، وما ينالهم من العقاب بالبكاء.

[المسألة الرّابعة]

---

[1] سورة النَّجْم، الآية .

[2] سورة النَّجْم، الآية .

[3] سورة النَّجْم، الآية .

[4] سورة النَّجْم، الآية .

وربّما قيل في قوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى﴾[1]: كيف يصحّ ذلك ونحن نعلم ما لا يخلق من النّطفة من الذّكر والأنثى؟

وجوابنا: أنّ جميع ما فعله من الذّكر والأنثى أصل الخلقة فيه النّطفة، وإن كانت ربّما تكون بواسطة، وربّما لا تكون.

وما يوجد على غير هذا الوجه لا نعلم فيه الذّكر من الانثى.

وقوله –عزّ وجلّ–: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى﴾[2] يدلّ على وجوب الاعادة لأجل الإثابة، لأنّ في قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾[3] دلالة الوجوب.

وقوله –تعالى–: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى﴾[4]، ظاهره: أنّ بعد عاد عادًا ثانيًا، فيكون هو الاوّل.

وقد روى ذلك في الأخبار.

ومَن قال إنّه واحد تأوّل على ما قاله الحسن، لأنّه قال: هم الأوّل لنا من حيث كانوا قبلنا، ونحن كالآخر لهم.

---

[1] سورة النَّجْم، الآية .

[2] سورة النَّجْم، الآية .

[3] سورة النَّجْم، الآية .

[4] سورة النَّجْم، الآية .

سورة القمر

سورة القمر

[المسألة الأولى]

وربّما قيل: كيف يصحّ قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[1]، ولو كان قد انشقّ القمر على الحقيقة، لنقل ذلك نقلاً ظاهرًا؟

وجوابنا: انّ في العلماء مَن يقول: المراد به: وانشقّ القمر في السّاعة، لأنّه عند السّابق ينشقّ القمر إلى غير ذلك من الشّرائط، لكنّ الصّحيح ما قاله مشايخنا من أنّه في أيّام رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– انشقّ القمر، وهو ظاهر القرآن.

فإذا كان قد انشقّ بالمدينة أو بمكّة، وفي سائر الأماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك، وكان اهل ذلك البلد في غفلة عنه إلاّ طبقة مخصوصة، فليس من الواجب نقل ذلك بالتّواتر، بل يجوز ان ينقله الآحاد.

وقد نقل ابن مسعود وغيره هذا كما نقل ردّ الشّمس في ايّام الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، فلم يجب في نقله الظّهور، لأنّ ذلك ظهر آخر النّهار لقوم مخصوصين.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾[2]، على وجه الذمّ، يدلّ على انّ ذلك قد كان.

وقوله من بعد: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنا﴾[3]، الجواب فيه ما قدّمنا من قبل.

وما كرّره الله من قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[4] يدلّ على انّه –تعالى– يكرّر هذه الامور لكي يعتبر النّاس بها، وأنّه –تعالى– أراد من جميعهم الادّكار لا تركه على ما يقوله من خالفنا.

وقوله –تعالى– من بعد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾[5] لا يدلّ على ما يقوله مخالفنا، وذلك لأنّه –تعالى– قال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ

---

[1] سورة القَمَر، الآية .

[2] سورة القَمَر، الآية .

[3] سورة القَمَر، الآية .

[4] سورة القَمَر، الآية .

[5] سورة القَمَر، الآية .

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، يعني: في الآخرة في معاقبة أهل النّار، لانّه –تعالى– يعاقب كلّ أحد بقدر استحقاقه.

ولذلك قال بعده: ﴿وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2]، وذلك لا يليق إلاّ بالآخرة التي لا يقع فيها من احد مخالفة لله –تعالى–.

وقوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[3] يدلّ على انّ كلّ ذلك يكتبه الحفظة، ثمّ يقع التّمييز عند المحاسبة.

ويحتمل أن يريد انّ ذلك مكتوب في اللّوح المحفوظ، كما كتب –تعالى– الآجال والأرزاق.

---

[1] سورة القَمَر، الآية .

[2] سورة القَمَر، الآية .

[3] سورة القَمَر، الآية .

سورة الرَّحْمَٰن

سورة الرّحمن

[المسألة الأولى]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[1]: إنّ ذلك يدلّ على أنّ علمه بالقرآن، والبيان من فعل الله –تعالى–.

[جوابنا:] وذلك ممّا لا نخالف فيه، وإنّما القول في العلم بالله وتوحيده وعدْله، وأنّه اكتساب من العبد.

[المسألة الثّانية]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزانَ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ﴾[2]: إنّ ذلك تكرارًا لا معنى له.

وجوابنا: أنّ وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين.

وقوله –تعالى–: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ﴾[3]، المُراد به: كيفيّة استعماله في المعاملات، فأحد الأمريْن مخالف للآخر.

[المسألة الثّالثة]

---

[1] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[2] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[3] سورة الرَّحْمَن، الآية .

وربّما قيل إنّه –تعالى– ذكر في أوّل السّورة أنّه ﴿خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[1]، فكيف قال من بعد: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[2]؟

وجوابنا: انّه بعد ذلك ذكر مع الإنس: الجنّ، فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ﴾[3].

ثمّ عطف على ذلك بقوله –تعالى–: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[4]، لأنّه كلف تعالى في الأرض الانس والجن.

وإنما كرّر –تعالى– في هذه الآيات الكثيرة: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[5]، لأنّه ذكر نعمة بعد نعمة، فاتبعه ذلك.

وهذا ممّا يحسن ممّا يذكر نعمه وأياديه.

[المسألة الرّابعة]

فان قال: ففي جملة الآيات ما ليس فيه نعمة كقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[6] الى غير ذلك.

وجوابنا: انّ ذلك من النّعم اذا تدبّره المرء وخاف منه، فصار زاجرًا له عن المعاصي.

[المسألة الخامسة]

---

[1] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[2] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[3] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[4] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[5] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[6] سورة الرَّحْمَن، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ﴾[1]: كيف يصحّ ذلك، وإنّما يخرج من أحد البحريْن؟

وجوابنا: أنّه إذا خرج من أحدهما، فقد خرج منهما؛ والمُراد من هذا المجموع.

وقد قيل إنّه لا يخرج من البحر الذي ليس بعذب إلاّ إذا مازجه الماء العذب.

[المسألة السّادسة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾[2]: كيف يصحّ ذلك، مع أنّه –تعالى– قد ذكر أنّه يسألهم أجمعين في غير آية؟

وجوابنا: انّ المراد انّهم لا يسألون على وجه التّعرّف، لأنّ ذلك مكتوب معلوم، وإن كانوا قد يسألون على غير ذلك؛ وقد تقدّم كلامنا في مثل هذه الآية.

[المسألة السّابعة]

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾[3]: كيف يصحّ ذلك ولا يجوز على الله –تعالى– الشّغل والفراغ؟

وجوابنا: انّ ذلك ممّا يستعمل في الوعيد، لأنّه اقوى في الزّجر والتّهديد.

فالقائل يقول لمَن يخوفه: سأفرغ لك إن خالفت، فلاجل هذه المبالغة ذكره –تعالى–، وإلاّ فالفراغ لا يصحّ إلاّ على مَن يشغله فعل عن فعل من حيث يفعل، ولا يصحّ أن يضيف إلى السّكون حركة، ولا إلى القيام قعودًا.

[المسألة الثّامنة]

---

[1] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[2] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[3] سورة الرَّحْمَن، الآية .

وربّما قيل في قوله –تعالى–: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[1]: كيف يصحّ وصف البطائن التي هي دون الظّهائر التي هي الارفع؟

وجوابنا: أنّه بذكر البطائن قد دلّ على الظّهائر.

فإن كانت الظّهائر أرفع، فقد دلّ بذلك أنّها أرفع من الإستبرق.

وقوله –تعالى–: ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾[2] لا يدلّ على جواز المكان على الله –تعالى–، لأنّه –تعالى– خوّف بذلك، والتّخويف لا يكون بالمكان؛ فالمُراد: ولمَن خاف مقامه للمسائلة والمحاسبة، فأضاف المقام إليه، وإن كان مقامًا للعبد، لأنّه معدّ من قبله لمقام العبد ولوقوفه فيه.

وقوله –تعالى–: ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ﴾[3] أحد ما يدلّ على قولنا، لأنّه –عزّ وجلّ– بيّن انّ من أحسن جازاه الله –تعالى– بالإحسان، وعلى قولهم: قد يؤمن ثمّ يخلق الله –تعالى– الكفر فيه، فلا يصحّ ذلك على مذهبهم.

---

[1] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[2] سورة الرَّحْمَن، الآية .

[3] سورة الرَّحْمَن، الآية .

محتويات الكتاب

ـِـْوَات الـْاب

كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن

للقاضي عبد الجبّار – الجزء الثّالث **19 – 52**

– سورة الحجّ

[المسألة الأولى]

[المسألة الثّانية]

[المسألة الثّالثة]

[المسألة الرّابعة]

[المسألة الخامسة]

[المسألة السّادسة]

[المسألة السّابعة]

[المسألة الثّامنة]

[المسألة التّاسعة]

[المسألة العاشرة]

[المسألة الحادية عشر]

[المسألة الثّانية عشر]

[المسألة الثّالثة عشر]

[المسألة الرّابعة عشر]

[المسألة الخامسة عشر]

[المسألة السّادسة عشر]

[المسألة السّابعة عشر]

- سورة المؤمِنون
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]

- سورة النّ‌ُور
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]

- سورة الفرْقان
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]

- سورة الشّعراء
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]
[المسألة الثّالثة عشر]

- سورة النّمْل
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]

- سورة القَصَص
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]

- سورة العنْكبوت
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]

[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]
[المسألة الحادية عشر]
[المسألة الثّانية عشر]

- سورة الرُّوم
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]

- سورة لُقْمان
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]

- سورة السّجْدة
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]

- سورة الأحْزاب
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]

- سورة سبَأ
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]

- سورة فاطِر
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]

[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]

- سورة يَس
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]

- سورة الصّافّات
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]

- سورة ص

[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]

- سورة الزُّمَر
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]

- سورة غافِر
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]

- سورة فُصِّلت
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]

[المسألة الثّالثة]

- سورة الشُّورَى
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]

- سورة الزُّخْرف
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]
[المسألة التّاسعة]
[المسألة العاشرة]

- سورة الدُّخان
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]

[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

- سورة الجاثِية
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]

- سورة الاحْقاف
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]

- سورة مُحمّد -صلّى الله عليه وسلّم-
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]

- سورة الفَتْح
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]

- سورة الحجرات
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

- سورة قَ
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]

- سورة الذّارِيات
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

- سورة الطُّور
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]

- سورة النَّجْم
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]

- سورة القَمَر
[المسألة الأولى]

- سورة الرَّحْمَن
[المسألة الأولى]
[المسألة الثّانية]
[المسألة الثّالثة]
[المسألة الرّابعة]
[المسألة الخامسة]
[المسألة السّادسة]
[المسألة السّابعة]
[المسألة الثّامنة]

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع